صاحبها ومحررها
سلامة موسى
المجلد السادس



العدد الخامس
من
السنة الخامسة

مايو سنة ١٩٣٦

سير الحوادث

ننعى الى القراء مع الاسف العظيم الملك فؤاد الاول اذ توفى فى ٢٨ من أبريل الماضى عن ٦٨ عاما . وللملك فؤاد تاريخ طويل سوف يكتب بالدقة التى يطلبها التحقيق التاريخي . ولكن مما لاشك فيه أن حكمه سيذكر بأنه العهد الذى نالت فيه مصر استقلالها وعرفت فيه الحكم الدستورى الى حد ما . وليس هذا بالشئ الصغير

والى هذا يمكن أيضا أن يذكر التوسع فى التعليم واستزراع مقدار كبير من الارض القاحلة وظهور حركة صناعية يرجى أن يعتمد عليها فى رخاء البلاد وانتقال الجامعة من هيئة شعبية ضعيفة الى هيئة حكومية قوية كما عمت البلاد نهضة ثقافية واقتصادية

وقد تولى العرش ومصر سلطنة فى ا كتوبر من سنة ١٩١٧ عقب وفاة السلطان حسين وكانت مصر تحت الحماية البريطانية التى أعلنت سنة ١٩١٤ حين نشبت الحرب الكبرى . والغيت الحماية فى فبراير سنة ١٩٢٢ وأصبح السلطان فؤاد ملكا

وقد ساءت صحته منذ أكثر من ١٥ شهرا واشتد عليه المرض فى بعض الاوقات حتى كثر حديث الوصاية ولكنه كان بفضل حيويته يتغلب على العلة ويفرج الازمة بان يتولى بنفسه القيام بواجباته

الملك فاروق

وقد نودى بالملك فاروق ملكا على مصر . وهو لايزال فى السادسة عشر من عمره . والى ساعة كتابة هذه الكلمات لم تعرف اسماء مجلس الوصاية الذى سيتولى النصيحة للملك الى أن يبلغ سن الرشد . ويقوم مجلس الوزراء بهذه المهمة الان . ولكن ذلك بالطبع لن يطول وخاصة لأن

البرلمان سيتم انتخابه بعد أيام . ونرجو الا تحدث هذه المسألة أزمة . كما نرجو أن نستقبل عهداً تسير فيه الحياة البرلمانية فى هدوء وأن يعترف للوفد فيه بانه الحزب السائد الذى تثق به البلاد . فان كل الكوارث الماضية جاءت لأن بعض الافراد كانوا يجدون فى بعض الهيئات ما يدفعهم الى اضطهاد الامة كلها لأنها تثق بالوفد . ونحن نرجو لمصلحة الجميع أن يسلم الوفد زمام السلطة مادامت الامة توليه ثقتها

وسيكون من الخطر العظيم جدا ان تجرب تجربة أخرى فى وضع رجل مثل اسماعيل صدقي باشا على رأس وزارة تضرب الناس بالرصاص وتستخرج نتائج حسابية للانتخابات ، واعتقادنا أن على ماهر باشا اعقل وافطن من أن يترك الامور تنحدر الى مثل هذه الحال . وما دامت الامة تطلب الوفد فلابد من النزول على رأيها

ونحن نرجو للملك الجديد حياة سعيدة طويلة وتوفيقا فى خدمة البلاد

دعوة العروبة

عقدت حفلة لتكريم وزير المعارف على علوبة باشا فوقف الشيخ محمد الزين وألقى بين يديه قصيدة طويلة فى شتم الفراعنة قال فيها :

جنبهم الزيغ فرعونية مجمت وقهرى فى عصور النور تغشانا
مهما نبشنا كنوزا من ذخائرها خطيئتين نرى : ذلا وأوثانا
لايوجد الشعب الا من عقيدته وليس يوجد مهما كان فنانا

* * *

كانت عصا الحق بالبهتان ساحرة تلك التى كان القاها ابن عمرانا
فبالعروبة فاحسم داء بلبلة فيهم تبدت بحتم المحو ايذانا

وهذا مع العلم بأن وزير المعارف هو المشرف على قسم الآثار فى الجامعة المصرية . وهو المشرف على مصلحة الآثار . والفراعنة هم أباؤه . ومجدهم هو الذى يتحدث به الامريكي والانجليزى والالمانى قبل المصرى

ولكن ما هى هذه الدعوة العربية التى يدعون اليها ؟

لقد فسرتها مجلة الفجر بقولها فى أحد أعدادها الاخيرة

« فى الحفلة التى أقامها الطلبة السوريون والفلسطينيون فى القاهرة فى نادى الشبان المسلمين

خطب الدكتور عبد الرحمن شهبندر الزعيم السورى المعروف فكان مما قاله « أن الدعوة الى العروبة لاتختلف من الدعوة الاسلامية فى شىء

« وهذا المعنى قد سبق لنا نحن كلام طويل فيه مرات كثيرة على صفحات الفتح ، وقرر ناه ببراهينه من كل النواحى ، ويعلم جميع قرائنا أنا نعتبر العروبة من جيوش الاخلاص العميق للدعوة الاسلامية بل هى القلعة الاخيرة كما كانت القلعة الاولى . ولكن اعلان مثل الدكتور شهبندر لهذا المعنى جدير بالتسجيل »

وفى الوقت الذى كان يكتب فيه هذا الكلام كان الاستاذ عبد الله حسين يكتب فى الاهرام ويطلب قطع يد السارق . ثم يكتب وزير المعارف الى مدير الجامعة يطلب منه ألا يجيز فى المستقبل مباريات السباحة بين الطلبة والطالبات لان هذا العمل الذى يجرى تحت أشراف المعلمين يخالف تقاليدنا « الشرقية » ثم تقترح الوزارة ارسال بعثة من الفتيات المصريات للاختلاط بالهيئة الاجتماعية الانجليزية فيرفض الاقتراح لان هذا أيضا يخالف التقاليد . كأنه يعتقد أن الهيئة الاجتماعية فى مصر أرقى من الهيئة الاجتماعية فى انجلترا

اننا والحق يقال نعتقد انه يجب على رئيس الوزارة أن ينبه زميله وزير المعارف الى ضرورة الاعتدال فى مذهب العروبة والتقاليد وأن يذكره باننا نطلب الغاء الامتيازات الاجنبية

اكتساح الحبشة

اذا كان الجمهور قد دهش لاكتساح الجيش الايطالى للحبشة فاننا نعتقد أن قراء هذه المجلة لم يدهشوا . فاننا منذ نشوب هذه الحرب ونحن نبين للقراء أن توهم الانتصار للحبشة بعيد جدا عن حقائق الأشياء وأن شجاعة الاحباش لاتغنى أمام المدافع والطائرات والنازات

وقد ذبح الاحباش المساكين فى كل معركة اصطدموا فيها بالايطاليين . وقبل أيام رأينا فى القاهرة كتابا توزعه ايطاليا للدعاية وفيه بضع صور تمثل الأسرى وقد نزعوا الاحباش خصاهم أو قلعوا عيونهم . وربما تكون هذه الدعاوى صحيحة . ولكن هناك أيضا أشياء أخرى صحيحة كان يجب أن تذكر . منها مثلا أفاعيل الغازات الايطالية فى الاحباش . فأزاء كل أسير ايطالى تنزع خصيتاه يقتل على الاقل الف حبشى بالغازات التى تتركه فى جحيم العذاب بضعة أيام قبل الموت . فاذا كان الاحباش متوحشين فان الايطاليين ليسوا آدميين

وايطاليا مع كل هذا على وشك الافلاس . فانها أنفقت نحو ١٦٠ مليون جنيه على هذه الحرب .

ولن يغنيها استيلاؤها على أديس أبابا عن الضيق المنتظر من هذا الافلاس

والامل ضعيف فى استطاعة عصبة الامم اخراج ايطاليا الآن من الحبشة . ولكننا لا نعتقد مع ذلك أننا نبالغ فى الامل بأنها يمكنها أن تجعلها تجلو عن قسم كبير من الحبشة يبقى مستقلا ويتولاه الامبراطور هيلاسلاسى

روسيا والقطن

من أخبار روسيا فى الشهر الماضى انها توسعت فى زراعة القطن حتى ان محصولها منه هذا العام سيبلغ نحو عشرين مليون قنطار أى ثلاثة أضعاف المحصول المصرى

ولم تكن روسيا تزرع القطن . وكانت تستورده من الولايات المتحدة ومصر والهند . فلما قاطعتها هذه الدول بحجة أنها شيوعية عمدت الى أرضها فاستقدمت لها الخبراء الذين علموا أبناءها زراعة القطن . وفى الوقت الذى منعنا نحن ارسال قطننا اليها كان خبير زراعى من خبراء حكومتنا يعلم الفلاحين الروس هذه الزراعة . ولما عرفت الهند والولايات المتحدة العواقب الوخيمة التى جرتها عليهما هذه المقاطعة الغتها كل منهما وصارت تتجر مع روسيا وترسل اليها قطنها . أما نحن فقد رفضنا

والنتيجة اننا أقفلنا سوقا عظيمة كانت مفتوحة لقطننا وصارت روسيا تستطيع أن تصدر القطن بدلا من أن تستورده . فالى متى نقاطع روسيا ؟

موجة اليسار فى أوربا

بعد أيام تنتهى فرنسا من الانتخابات . ويبدو من الطوالع السياسية الحاضرة أن اليساريين أى الراديكاليين والشيوعيين والاشتراكيين سيفوزون وستؤلف الوزارة منهم . وربما يكون فى فوزهم دافع جديد لعصبة الامم لكى تزيد الجزاءات على ايطاليا وتنفذ جزاء البترول . فان اليساريين ينتصرون للعصبة ويؤمنون بأن السلم يجب أن تكون له خطة ايجابية عملية . وقد كان تردد فرنسا فى تنفيذ الجزاءات مثبطا لعزيمة العصبة ومشجعا لايطاليا على توغلها فى الحبشة

وموجة اليسار لا تكتسح فرنسا وحدها . فان اسبانيا قد سبقتها وأمعنت فى الغلو الذى ربما يخشى خطره . لان اسبانيا لا يمكنها أن تتحمل الفوضى التى يمكن أن توقعها فيها الشيوعية . وسرعان ما تنفصل منها قطلونيا واقليم الباسك فتقع فى حرب أهلية

ولكن أمم الشمال دنمركا ونروج وأسوج قد أخذن من اليسار بالاشتراكية المعتدلة وفيهن جميعهن حكومات اشتراكية تقوم كل منها بالبديع من الاصلاحات الاجتماعية

الصحافة المصرية واليسار

عند ما أفكر فى الصحافة فى مصر تخطر ببالى شخصيتان غائبتان للأسف عن صحافتنا . الشخصية الأولى هى فرح انطون الذي اختطف قبل الاوان ، والشخصية الثانية هى الأستاذ احمد لطفى السيد باشا الذى نرجو أن يمد فى عمره طويلا

وهاتان الشخصيتان كانتا تمثلان فى ميدان الصحافة ثقافة اليسار ، هـذه الثقافة التى نفتقدها الآن فلا نجدها . أو ربما نجدها فى ضعف يوشك أن يكون حشرجة الموت . ولهذه الحال مغزاها للصحافة المصرية الحاضرة

فقد علمنا فرح انطون مبادىء الثورة الفرنسية ولقن شباب جيله « حقوق الانسان » ونقل لنا كتابا لرينان عن « انسانية » المسيح . وحدثنا طويلا وكثيرا عن جان جاك روسو وبرناردين سان بيير . وحيثما يكون جان جاك تكون الحرية الفكرية والنظرة البكر . وليس لهذا الرجل فكرة إلا وفيها من الخصوبة مايجعلها تتوالد وتتفشى فى خدمة التفكير الحر . ولكن هذه النهضة التى أحدثها فرح انطون لم تمت عند موته بل ماتت قبل ذلك حينما ماتت مجلة « الجامعة » وكانت شعلة مضيئه لثقافة اليسار

أما لطفى السيد فيكفى أن نذكر أنه ذات يوم طلع علينا فى مقال افتتاحى فى الجريدة بقوله « وما لها اللغة العربية لما نكتبها بزى ماهيه » ولايحسبن أحد أن هـذه دعوة الى اللغة العامية لايثارها على اللغة الفصحى . ولكنها دعوة الى احترام العامة والرغبة فى تيسير اللغة حتى يتعلموا أو هى دعوة الى احياء اللغة العربية بحيث تصبح لغة التخاطب فتحيا بقوة الحديث وبمعالجة المسائل والأشياء التى تلابسنا . واللغة لاتحيا إلا اذا كانت لغة الاحياء الذين يتكلمونها . وصحافة اليمين هذه الايام تحدثنا عن الجامعة العربية ثم تفسر لنا هذه الجامعة بانها هى الجامعة الاسلامية . ولكن لطفى السيد كان قبل ثلاثين سنة يحدثنا عن الجامعة المصرية . وقد كانت غزوة الايطاليين لطرابلس سنة ١٩١١ تشبه الآن غزوتهم للحبشة . وقد نهانا وقتئذ عن التبرع وطلب الينا أن نجمع الاموال لمعالجة العرى والجوع والجهل فى مصر بدلا من انفاقها على الهلال الاحمر فى طرابلس . ولكننا لانسمع أحدا يقول مثل هذا الكلام عن الحبشة الآن . وكان يدعو إلى الدستور وإلى حرية المرأة معا . وهذه الدعوة الاخيرة قد أصبحت إلى حد ما مكروهة . ولكن « الجريدة » ماتت

وهـذا يدلنا على أن صحافة اليسار أو ثقافة اليسار قد تقهقرت فى مصر . والتفكير الحر أو

الاستقلال الذهنى كله فى حال تعسة . وهو ينظر اليه باعتباره عربدة ذهنية يجب أن تعالج فى السجن

* * *

ولكل منا بالطبع رأيه فى الصحافة والنزعات الفكرية . وهو رأى يقرب احيانا من الهوى . وخاصة إذا كان هذا المرتأى صحفيا قد عالج هذه النزعات بقلمه واشرب بها وتحمس لها ونافح عنها . فان من الشاق عندئذ أن يطلب منه رأي نزيه فيما أحب من النزعات الفكرية

ومع هذا التحفظ أقول أنى أعتقد أن عصرنا هذا يقتضى الدفاع عن نزعات اليسار وانى أقيس الصحافة الحرة بمقدار ميلها الى اليسار . وان الجمهور الحسن هو الجمهور الذى يحمى رجاله الذين يدعون الى مبادىء اليسار فى الثقافة والسياسة . وقد اكون مخطئا . ولكن لو كان قاسم أمين حيا بيننا لكان موقفه الى راية اليسار

وقد نشأت جريدة السياسة يسارية تدعو دعوة الحرية الفكرية . ولكن من يستطيع أن يقول انها كذلك الآن ؟ وقد نشرت أنا كتابى « نظرية التطور وأصل الانسان » فصلا فصلا فى احدى الجرائد سنة ١٩٢٥ ولكنى أتردد كثيرا فى نشر مثل هذه الآراء فيها الان . لأن آراء اليمين قد تغلبت عليها . وان كانت احيانا تفسح لليسار بين صدرها فى قليل مما يتعلق بالأدب والثقافة . ولعلها تفعل ذلك على مضض ازاء اليمين المتغلب المكتسح

وقد انتهت بنا صحف اليمين الى أن تطلب قطع يد السارق وحبس المدين فى الشهر الماضى . كما أن وزير المعارف أصبح يرى أن الطالبات فى الجامعة يجب ألا يتبارين فى السباحة مع الطلبة ولو كان هذا بحضور المعلمين وتحت أعينهم

* * *

والذى لوى الأمة الى ناحية اليمين هو اسماعيل صدقى باشا سنة ١٩٣٠ فانه ضرب الاحرار وقمع الحريات . ولكن جمهور الامة فى تلك المدة لم يكن معه اذ كان يعد جميع حركات هذا الرجل رجعية . ولكن بعد خمس سنوات اصبحنا نجد أن قسما من الصحف وجزءا كبيرا من الجمهور قد التوى الى ناحية اليمين . وهذا الالتواء قد وصل فى بعض الاحيان الى حد الرجعية . وتسير مصر لهذا السبب فى طرق تناقض الطرق التى تسير فيها تركيا وايران بل تناقض العراق . وقد بلغنا حالا يقول فيها وزير المعارف أن اختلاط الفتيات المصريات بالهيئة الاجتماعية الانجليزية يعود بالضرر على الأمة المصرية . وهذا كلام عجيب من وزير مهمته التعليم فى سنة ١٩٣٦

س . م .

الحالات النفسية وعلاقتها بالغدد الصماء

وأثر ذلك في التربية

بقلم رمسيس شحاته

لعله من المستحسن أن نعرف مانقصده بقولنا « الغدد الصماء » حتى نكون على هدى من أول الامر خصوصا وأن تعريف هذه الغدد أمر سهل ميسور . فالغدة الصماء هي عبارة عن غدة تتوسطها أوعية دموية تصب فيها الغدة افرازها دون وساطة قناة ظاهرة . وعلى ذلك تكون الغدة الصماء عبارة عن مجموعة او مجموعات من الخلايا تتوسطها اوعية دموية وهذه الخلايا ككل خلايا الغدد تفرز افرازا خاصا . وهو ينصب في هذه الحالة في الاوعية الدموية مباشرة ومنه يتوزع مع الدم على كل خلايا الجسم الاخرى وبهذا تتميز الغدد الصماء عن نوع آخر من الغدد التي توجد في الجسم بكثرة واضحة والتي تتكون من مجموعات من الخلايا مرتبة على هيئة محيط دائرة في أغلب الاحيان وتتوسطها قناة صغيرة . وبتجمع عدد معين من هذه القنوات تتكون قناة أكبر وهكذا حتى لايصبح للغدة الا قناة واحدة رئيسية . وخلايا هذه الغدد تفرز أيضا افرازا على نمط افراز الغدد الصماء ولكنه بدلا من أن يذهب في الدم مباشرة ، يسيل في القنوات المذكورة آنفا حتى ينتهي بالخروج من القناة الرئيسية للغدة الى الفجوات الخارجية في الجسم . ومثل هذه الغدد التي تفرز اللعاب مثلا او التي تفرز العرق او الغدد المكونة لجدار المعدة والتي تفرز العصير المعدى او الغدد الداخلة في تركيب جدر الامعاء والتي تفرز العصير المعوى . وتعرف كل هذه الغدد بالغدد ذوات الافراز الخارجي تمييزا لها عن الغدد الصماء التي تسمى ايضا بالغدد ذوات الافراز الداخلي نظرا لانصباب افرازها في الدم مباشرة

وهناك فرق آخر أكثر أهمية من الفرق السابق بين الغدد الصماء والغدد ذوات الافراز الخارجي وهو فرق ناشيء عن اختلاف خواص افرازات كل من النوعين . ففي حين أن افراز الغدد ذوات الافراز الخارجي ضعيف الأثر والمفعول على العموم ، ومن هنا نشأت حاجة الجسم الى كميات

هائلة منه ، نجد أن افراز الغدد الصماء قوى الاثر الى حد بعيد . بحيث ان الكميات التى تلزم منه للجسم من القلة والضآلة بحيث لا يمكن مقارنتها مع مايلزم للجسم من الافرازات الخارجية من الكميات الهائلة . فليس هناك سبيل لان تقارن مثلا مقدار مايلزم للجسم من اللعاب بمقدار مايلزمه من الانسولين مثلا وهو الافراز الداخلى البنكرياس ومن هنا نلاحظ أن الجسم يستطيع أن يتحمل بسهولة التغييرات فى مقدار افراز الغدد ذوات الافراز الخارجي من حيث النقص او الزيادة فى حين انه ليس من الممكن ان يتحمل نفس هذه التغييرات او حتى عشرها فى مقدار افراز الغدد الصماء

ويتضح لنا ذلك أكثر فأكثر كلما تأملنا ابسط العمليات الفسيولوجية التى تقوم بها فى كل حين والتي لاتسبب للجسم خسارة تذكر . فنحن فى كل مرة نبصق فيها نحرم من كمية معينة من اللعاب ولو جمعنا مقدار مانبصقه فى اليوم الواحد مثلا لتعدى وزنه فى بعض الاحيان عدة جرامات . وكذلك فى كل مرة نتبرز فيها نطرد الى خارج الجسم مقدارا من الافراز المعوى لايستهان به . ولو كان الامر كذلك مع افرازات الغدد الصماء ربما كانت حياة الواحد منا لاتتعدى الاسابيع المعدودة إن لم تقتصر على أيام قلائل يقضيها المرء فى ألم مستمر وخمود متواصل

ويدفعنا ماتقدم الى الكلام قليلا عن أهمية هذه الغدد فى الجسم والاشارة الى الدور الذى تلعبه فيه . ونحن نعتذر للقارىء من الآن عن عدم الاطالة فى هذا الموضوع وذلك لاسباب . أولها أن المقام لايتسع للاسهاب لاننا لو اردنا توفية الموضوع بحثا لاحتجنا الى وقت طويل وذلك لتشعبه الى أقصى درجة ولصعوبته وتعقده فى كثير من المواضع . ويكفى للتدليل على اهمية الغدد الصماء فى جسم الانسان أن نذكر أن الحياه مستحيلة بدونها وأن استئصالها كاملا لابد أن يعقبه الموت . فأننا أصبحنا لانستطيع أن نجد فى ضوء الابحاث الاخيرة عملا أو وظيفة من وظائف الجسم لها اهمية تذكر والا وللغدد الصماء فيها أثر بارز . ويكفى الا يزيد أو يقل افراز بعض هذه الغدد بمقادير أقل كثيرا من المليجرام أى أقل من وزن عدة حبات معدودات من الرمل لنشاهد فى جسم الانسان اكبر التغييرات وأغربها مما يجعله فى حالة ما عملاقا يتعدى طوله المترين وفى الحالة الاخرى قزما لايزيد طوله على عشرات السنتيمترات . وتوقف البنكرياس عن افراز الانسولين او نقص كمية هذا الافراز فى الدم تكفل لان تولد فى الجسم مرض البول السكرى مع ماله من الضرر والعواقب الوخيمة . مع أن كمية الانسولين التي يفرزها البنكرياس يوميا فى الحالات

العادية ليست أمرا ذا بال إذا قورنت بكمية اللعاب التى تفرزها الغدد اللعابية مثلا

إن توقف الخصيتين عن افراز الهرمون الخاص بهما يكفى لان يولد فى الجسم حالة الشيخوخة والهرم مع كل مايصحبها من نقص فى قوى الانسان ونشاطه سواء الجسمى او العقلى منها . ومع ما يصحبها من التجاعيد والتغيرات الخارجية الاخري

وبالجملة نستطيع أن نقول أن الغدد الصماء هي التى تسيطر على حيوية الجسم ونشاطه فوق مناعته ومقاومته للامراض التى يمكن أن تحل به . وتزداد هذه النظرية وضوحا يوما عن يوم وذلك كلما زادت معلوماتنا عن هذه الغدد وكلما تقدمنا فى فهمها ومعرفتها

ومن الغريب أن الابحاث الاخيرة قد أظهرت لنا أنه يوجد فى جسم الانسان غدة صماء تمتاز من بين بقية الغدد الصماء الاخرى بأنها تكاد تسيطر تمام السيطرة على غيرها من الغدد الصماء الموجودة فى جسم الانسان وهى على هذا الاعتبار تكاد تكون المشرف والمنظم الرئيسى لنشاط الجسم ومناعته وحيويته . وهذه الغدة على اتصال وثيق بالجهاز العصبى العام ومن الغريب أنها موجودة فى داخل الجمجمة ويحاط بها من كل الجهات تقريبا مما يجعلها بعيدة أتم البعد عن كل التغييرات الخارجية ومما يجعلها امنع واحصن عضو فى جسم الانسان . وأغرب من كل ماتقدم بكثير أن فريقا من الفلاسفة القدماء كان من بينهم ديكارت اذا لم تكن قد خانتنى ذا كرتى كان يعتقد أن هذه الغدة هى مركز الروح . إن هذه فكاهة لطيفة ولكنه يحلو لنا أن نستنتج مما تقدم النتيجة الآتية : من المحتمل جدا أنه إذا كان هناك شيء كالروح فى جسم الانسان على نحو ما نفهم ذلك فان مركزها لابد أن يكون فى هذه الغدة

مما تقدم نرى الاهمية العظمى التى للغدد الصماء على العموم فى جسم الانسان ونرى مقدار تأثيرها واشتراكها الفعلى فى مختلف الوظائف الكبرى لجسم الانسان . ونحن نريد الآن أن ننتقل الى موضوع آخر وهو الحالات النفسية وعلاقتها بالعقل والارادة لنعالجه بنفس العجالة التى عالجنا بها النقطة السابقة ولكننا نريد قبل ذلك أن نلفت نظر القارىء الى النقطة الآتية : اذا كانت للغدد الصماء هذه الاهمية العظمى فى جسم الانسان مما يجعلنا أن نضع مركز الروح فى احداها اليس من الممكن أن يكون فيها نفس الأثر فى حالاتنا النفسية ؟ اننا كثيرا ما نتفاوت تفاوتا ملحوظا من حيث نشاطنا وقوتنا على المقاومة للمرض كما أننا كثيرا ما نتفاوت فى حالاتنا النفسية وطابعنا الاخلاقى من حيث الصبر وطول الاناة مثلا أو التعجل والاسراع ومن حيث التطير والتشاؤم والقلق

او التفاؤل والاطمئنان والهدوء فاذا كنا نعزو التفاوت الاول الى تفاوت فى الغدد الصماء اليس من الممكن ان نعزو التفاوت الثانى الى ذلك ايضا ، واذا كنا نجد مبالغة فى أن نعزو كل التفاوت الثانى اليها فقط فاننا لاشك نستطيع أن نعزو الجزء الاكبر منه اليها

* * *

ما هي علاقة الحالات النفسية بالعقل والارادة ؟

ان الاتفاق على رأى فى هذا الموضوع ليس سهلا . فلو أدعينا مثلا أن الحالات النفسية عند التحليل الاخير مستقلة كل الاستقلال عن العقل والارادة لما عدمنا أن نجد من يرد معترضا بأنه يستطيع أن يحكم نفسه الى أقصى حد . ويوجد من يؤكد لنا تأكيدا لاغبار عليه انه استطاع بالفعل أن يظل أعواما كاملة دون أن يغضب مثلا مرة واحدة او دون أن يثور ثورة واحدة ولو للحظة قصيرة . ولوجدنا فوق ذلك من يدعى ويؤكد انه ما غضب إلا ووزن غضبه بمقدار وميزان ولو أدعينا من الناحية الاخرى أن الحالات النفسية تخضع للعقل والارادة اتم الخضوع لوجدنا من يؤكد لنا وفى نفسه حسرة مرة أنه حاول جهده سنين متوالية عديدة أن لايتعجل أو يتسرع فى أمر ما من أموره ولكنه لم يفلح وفشل فشلا محققا . ولوجدنا فوق ذلك من يؤكد لنا أشد التأكيد انه قد قام بالمستحيل لكى يمنع نفسه بتاتا عن الغضب مثلا ولكنه لم يفلح فى مسعاه رغم ماصرف من جهد وما أضاع من وقت . وسوف لاينسى كل من صاحبينا أن يزيدا على قولها أن ما كان لهما ان ينجحا فالمسألة خارجة تمام الخروج ومستقلة اتم استقلال عن العقل او الارادة اذ أنها « شيء فى الدم »

وقد نحار أشد الحيرة فى تصديق أى الفريقين نظرا لما نتوسمه فى كل منهما من الاخلاص والصدق ولكننا لو تأملنا قليلا لوجدنا أننا نستطيع الخروج من المأزق بسهولة وذلك بأن نأخذ موضعا وسطا بين الطرفين . ليست الحالات النفسية مستقلة عن العقل والاراده تمام الاستقلال كما أنها ليست خاضعة لهما تمام الخضوع اذ أن فى المسألة أمرا اخر . هذه هي النتيجة التى نستطيع الوصول اليها . ولنسوق فيما يلى بعض الادلة عليها

١ — كم من مرة أهاننا أشخاص ممن نعرفهم أو ممن لانعرفهم وكانت الاهانة بالغه تستدعى الغضب والانفجار ومع كل ذلك لم نغضب ولم ننفجر . وانه من المشاهد أن الانسان يستطيع أن يحكم نفسه حتى الى حد أن يتراجع فى غضب أو انفجار قد بدأه فعلا

٢ — ولكن كم من مرة نصح لنا الاطباء او الاصدقاء أن نتجنب الهم والحزن ما أمكن وكم من مرة ظهر أمام أعيننا واضحا جليا خطر ذلك على صحتنا ولكن كلما صح عزمنا على الانسلاخ تماما من هذه الحالة المحزنة والافلات منها نهائيا وجدنا بعد قليل أننا ماننزك هماإلا لنقع فى هم جديد وأننا ماننسى حزنا او لوعة إلا نبعث حزنا داخليا اخر وكل ذلك رغم ارادتنا القوية وعزيمتنا الصادقة التى نعرف أثرها فى شتى أمور حياتنا الاخري . ان المسألة تكاد تكون عملا منعكسا لادخل لارادتنا أو عقولنا فيه انما يظهر كأنه طبيعة لنا ومتمكنة منا أشد التمكن

٣ — تأمل رجلا رزينا هادئا متئدا مرحا وهو فى حالة الصحة وتأمله اذا مرض أو ألم به توعك تجده قلقا هائجا مضطربا كئيبا ومع أن مرضه أو توعكه لايمنعانه من أن يحتم على نفسه أتباع نصائح الطبيب الي حد المبالغة ؟ فانه يجد صعوبة هائلة إن لم تكن استحالة تامة فى التغلب على قلقه واضطرابه وكآبته وذلك مهما كانت إرادته

٤ — انه من المألوف أن تحدث انقلابات فى الحالات النفسية للشخص الواحد وهى غالبا ما تكون من الاهمية بحيث تجد أنها تقسم حياته الى شطرين شديدى التباين والاختلاف فهذا طفل على أشد ما يكون من الكسل والخمول والغباوة تراه قد تحول الي رجل من أنشط الرجال وأشدهم ذكاءا أو العكس بالعكس . وقد يكون ظرف التحول أبسط من هذا بكثير فقد تكفى سفرة طويلة أو مخاطرة بسيطة لان تحول الانسان فى مدة وجيزة الى انسان آخر تغيرت كل طباعه تقريبا وبحيث يستحيل عليه الرجوع الى سابق عهده مهما كانت ارادته ومهما كانت عزيمته

ان الامثلة على ذلك متعدده متفاوتة من حيث قوه الاقناع والوضوح ولكنها حسب ما نعتقد تؤدى بنا إلى نتيجة واحدة وهى أن الحالات النفسية مهما خضعت للعقل والارادة الواعية فهى مستقلة عنهما الى حد ما فهى تخضع فوق ذلك حسب ما يظهر لنا الى عامل داخلى آخر

وإذا ماسلمنا بذلك سهل اقناعنا بان نسلم باستقلالها عن الاخلاق ثم العادات التى يمكن أن نكون قد تعودنا ها فى طفولتنا او حداثتنا . كما يسهل أن نسلم بانها تستقل عن المؤثرات الآتية من الخارج فكثيرا ما يبعث فى نفوسنا الحزن والاسى لحن شجى يرقص له الاخرون ويهتزون طربا

* * *

لعل فيما تقدم الكفاية لان ينير لنا السبيل الى فهم الانسان ولو فهما ايجازيا مقتضبا فى ضوء العلوم الطبية . ان الانسان فى نظر الطب فى الوقت الحالى ليس الا مجموعة من الاعضاء التى تكوّن باجتماع البعض منها مانسميه بالا جهزة . ولكل جهاز من هذه الاجهزة عمل خاص يقوم به . وتتوقف حياة الجسم وكل مظاهر نشاطه على حسن أداء هذه الاجهزة لعملها وانتظام سيرها . ولنضرب لذلك مثلا فنحن نعرف ان الجهاز الهضمى مكون من الفم وملحقاته والمعدة والامعاء ملحق بها الغدد الهضمية مثل الكبد والبنكرياس وغير ذلك من الاعضاء . ونعرف أن عمل هذا الجهاز هو تحويل ما تتناوله من الغذاء الى مواد صالحة للامتصاص والدخول فى تركيب الجسم . ونعرف أيضا أن الجهاز العصبى مكون من المخ والمخيخ والنخاع الشوكى وغير ذلك من الاعضاء ونعرف أن بين أعماله تنظيم حركاتنا وجعلنا قادرين على ادراك مايحيط بنا من التغيرات والحوادث أو الاحساس بما يمكن أن يؤثر علينا من المؤثرات وعلى هذا النحو نستطيع أن نتعرض لبقية الاجهزة الاخرى مثل الجهاز الدموى والجهاز التنفسى وغيرها

والغرض الذى تعمل لاجله كل هذه الاجهزة هو حفظ الحياة فى الجسم وجعل الانسان قادراً على البقاء والمقاومة . ولا يخفى علينا أن بقاء الانسان لايطلب أن يتغذى التغذية الكافية فحسب أو أن يقى نفسه شر البرد والحر وغيرهما من المؤثرات الخارجية المهلكة ولكنه يتطلب فوق كل ذلك سلامة الجسم نفسه وحسن سير الاجهزة الموجودة فيه كمجموعة وككل لا يتجزأ وليس كأجهزة متفرقة مستقلة بعضها عن بعض ، وذلك لان حسن عمل هذه الاجهزة يتوقف على حسن عمل الاجهزة الاخرى أيضا . فلو نقصنا مثلا كمية الدم التى تصل الى المعدة أو الامعاء مثلا لرأينا أنهما لا تؤديان واجبهما الهضمي حسب المعتاد . وعلى ذلك نرى أن الحياة فى جسم ما ليست مظهراً لجهاز معين تعمل من أجله الاجهزة الاخري انما هى النتيجة الاخيرة التى تشترك كل أجهزة الجسم فى حفظها وبقائها . ولما كانت حياتنا تتكون من حياتيها الحياة العضوية والحياة النفسية وكان كل شيء فى جسم الانسان يعتمد على بقية مافيه من الاعضاء ، ظهر لنا جليا أن الحياة النفسية لايمكن أن نفصلها فصلا نهائيا عن الحياة العضوية . لاشك أن الكثيرين سيجدون غضاضة لاتقدر فى قبول هذه النظرية أو التسليم بها ولكن ذلك لايمنعنا من القول أنها فى الواقع النظرية التى تؤيدها العلوم الطبية حاليا . ونستطيع أن نجد لها براهين كثيرة دامغة لو تأملنا أنفسنا قليلا . أظن انه يكفى برهانا على ارتباط النفس بحالة الجسم من المرض أو الصحة مانشاهده فى أنفسنا من

الضعف والوهن والخوار اذا حل بنا مرض ما . وكيف نعلل ذلك النشاط الغريب وتلك القوة الخارقة التى نشعر بها فى بعض أدوار المرض من اصابتهم بالهستريا مثلا ان لم نسلم أن النفس مرتبطة بالجسم أو تق ارتباط وأن حالتها من حالته انــ ضعفا وان قوة . وكيف نعلل تلك الحساسية الغريبة والمقدرة الفائقة فى بقية الحواس عند من فقد احدى حواسه الخمس ان لم نلجأ الى النظرية العضوية للجسم ما دامت كل خواصنا النفسية مركزها الجهاز العصبى عامة والمخ خاصة اذ أن مرضه أو خلله يحدثان أكبر ارتباكٍ وأشد اختلاف فيها

ما دامت حالة هذا الجهاز من الصحة أو المرض والاتزان أو الاختلال مربوطة كما بينا بحالة الاجهزة الاخرى وحالة الجسم على العموم فلماذا لا نسلم ان النفس مرتبطة بالجسم وخاضعة لما لما يمكن أن يؤثر فيه من المؤثرات ؟

ان الطب ينظر الى الانسان بمثل هذه النظرة . والنظرية التى يوردها هى ولاشك النظرية العضوية منذ أمد بعيد ونحن نعتقد أن الادلة التى يسوقها لتأييدها لها قوتها ولها معناها وانها كفيلة باقناعها وخصوصا وأن لها أوفر نصيب من الصحة والحقيقة

* * *

لقد ذكرنا فى الكلام عن الحالات النفسية أن هذه الحالات مهما كانت خاضعة للعقل والارادة فانها لاشك مستقلة عنهما الى حد ما وانها تخضع فوق ذلك الى عامل آخر ربما كان هو السبب الوحيد فى استقلالها الظاهر . وهذا العامل هو فى نظرنا الغدد الصماء . ان العلاقة بين الحالات النفسية والغدد الصماء علاقة متينة يصعب علينا اهمالها أو انكارها . واذا كان للغدد الصماء مابينا من الاهمية فى حياتنا العضويه فمن الطبيعى جداً أن تكون لها نفس الاهمية فى حياتنا النفسية بعد ماذكرنا فى النقطة السابقة . والبراهين على ذلك متعددة ولكننا سنكتفى بذكر بعضها مأخوذا من الملاحظات الطبية العديدة

— ١ — ا . م شاب فى الخامسة والعشرين من سنى حياته وهو فى عنفوان شبابه يملك صحة جيدة وحالته العامة لا بأس بها الا انه يلاحظ فى نفسه ميل فطرى الى الكآبة والهم . وهو شديد الخوف عظيم الحساسة كثير التردد الى حد كبير . انه لايستطيع بسهولة أن يقرر قبول دعوة أعز أصدقائه لنزهة خلويه أو لتناول الغداء مثلا الا اذا اختلى بنفسه مدة من الزمن . واذا قبل الدعوة فانه يضطر الى الحذر كثيرا والى الانتباه الى أقصى حد خوفا من أن يظهر بمظهر الحزن

والكتابة فى أثناء هذه النزهة مسببا لصديقة بذلك ألما أو تكدرا لا داعي له وقل ان ينجح فى ذلك . انه مضطر الي العودة الى المنزل مبكراً فى المساء خشية البرد ولو ان الجو معتدل لانه شديد الحساسية بالبرد بشكل غير عادي . ولقد سببت له هذه الحالة خسارة كثيرة فى أعماله نظراً لكثرة تردده وخوفه وفقدان أغلب أصدقائه ونفور الناس منه على العموم نظرا لكثابته وحزنه وتشككه وحزنه المستمر . وعلى كل هذا ليس فى جسمه من الامراض الظاهرة مايدعو لذلك وهو كما قدمنا بحالة عضويه جيده . ولكن فحصا دقيقا لغدده الصماء أظهر نقصا فى افراز الغدة الدرقية وبعلاج هذا النقص وذلك بتعاطى كيه معينه من هذه الغدة عادت الي الشاب حالته الاولي من الاقدام والشجاعة وزال عنه كل أثر للحزن والكثابه فوق انه أصبح لايخشى البرد . ولما رأى الشاب ذلك وأدرك قيمه العلاج وقوته بالغ فيه لسوء الحظ وزاد الكيه التى يتعاطاها من الغدة الى ما يقرب من الثلاثة الاضعاف وعندئذ لوحظ عليه عوارض أخرى تخالف العوارض السابقه أشد المخالفه . وتتلخص هذه العوارض الجديده فى مظاهر جنونية غريبه منها اضرابه عن الاكل ثم هيجانه وقسوته فى معاملة من معه وانتهى به الامر أن خلع ثيابه وجعل يعدو فى الطريق غير لاو على قصد معين رغم مقاومة أهله والمارة له . وعندسؤاله عرف السبب فى هذه العوارض الجديده اذ بتقليل الكمية المأخوذه من الغدة أمكن أن يعود الى حالته الطبيعيه

إننا لو تأملنا الحالتين اللتين يقدمهما لنا هذا الشاب لوجدنا بينهما تناقضا ظاهرا . فبدل التردد والخوف فى الحالة الاولى نجد تصميما واصرارا على مخالفة القواعد العامة وعلى عدم مبالاة أو اكتراث للآخرين . وليس فى قصة المريض من التفسير الا الغدة الدرقية مما يجعلنا نستنتج بسهولة أنها السبب فى كلتا حالتيه . ومن هنا نرى بسهولة وبايضاح نادر أثر هذه الغدة فى الحالة النفسية فوق أثرها فى الجسم على العموم مما أهملنا ذكره فيما تقدم

— ٢ — م . ب ، ف . ب . اختان سن الصغرى منهما ثمانية عشر عاما والثانية اثنتان وعشرون عاما . وهما فى حالة جيدة من حيث الصحة العامة ولكنهما تشكوان من تعب دائم وخمود دائم ونقص فى القوى يمنعهما من أداء أسهل الاعمال وأبسطها مع احتياجهما أشد الاحتياج إلي ذلك وهـذا الخمود ليس خموداً جسميا فقط انما يتعدى ذلك إلى خمود عقلي واضح . أن الاولى منهما لاتستطيع أن تقوم بعملية جمع من أبسط العمليات . وذلك لا لجهلها بالقواعد الاساسية للحساب ولكن لانها لا تملك الارادة الكافية لذلك . أما الثانية فقد كانت مضطرة للبقاء فى الفراش الي

ساعة متأخرة رغم استيقاظها مبكرة . وذلك لشدة الكسل ولفرط التعب مع انها لم تقم فى اليوم السابق بأى مجهود يذكر يمكن أن ينسب له مثل هذا التعب . ولم تفلح فى علاج أيهما المنبهات أو المقويات إلى أن أظهر الفحص الدقيق أن هنـاك نقصا فى افراز الغدة فوق الكلوية . وبعلاج هذا النقص عاد الى الفتاتين نشاطهما وزال عنهما التعب فوق أنهما أصبحتا شديدتى الانتباه سريعتى الخاطر حاضرتي البديهة . كما أصبح فى استطاعتهما القيـام بأشق الاعمـال دون الشعور بأى تعب أو خمود

وهذا أيضا مثل واضح جلى فى تأثير الغدد الصماء فى الحالات النفسية لأن الكسل وان كان عارضا جسميا فانه يمت بأشد صلة الى الحالات النفسية للانسان . وكلنا نعرف قصة « تنابلة » السلطان وكيف أنهم فضلوا أن يدفنوا أحياء على أن يتكلفوا مشقة اكل الخبز جافا او بله بأنفسهم . ولو أن محسنا تنبه الى حاجة هؤلاء التنابلة الى خلاصة الغدة فوق الكلوية لما كان هنـاك داع لدفنهم أحياء ولاستطاعوا بعد تعاطى الكمية الكافية من هذه الخلاصة القيام بأشق الاعمال . كم بيننا من « تنابلة » يخافون العمل ويخشون التعب والمجهود وهم مع ذلك فى صحة جيدة حسب الظاهر . أننا كثيرا ما نتهمهم بالبلادة والكسل والخمول ولو علمنا الحقيقة لاعطيناهم قليلا من خلاصة هذه الغدة لأنها جديرة بأن تطور حياتهم وتغير مجراها

ان الامثلة على ما تقدم كثيرة متعددة وكان فى استطاعتنا أن نعطى لكل غدة عددا من الامثلة ولكننا نكتفى بما تقدم لان الغرض ليس دراسة هذه الغدد من الناحية النفسية انما اثبات تأثيرها ولقد ادت الابحاث فى هذا الباب الى تقسيم الحالات النفسية المختلفة الى أقسام معينة بحيث يمكن أن يعزى كل قسم منها الى غدة صماء معينة . فأصبح الكسل والخمود من علامات النقص فى افراز الغده فوق الكلوية كما أصبحت المبالغة فى العمل وتحمل المجهود الى حد الاعياء والاضرار بالجسم من علامات الزيادة فى نفس هذا الافراز . وأصبح الضعف الجنسى والخوف والجمود الفعلى نتيجة لنقص افراز الغدة النخامية والغدة التناسلية كما أصبح الهياج الجنسى والهستريا من علامات الزيادة فى هذين الافرازين وهكذا . ومن الممكن عمل جدول لكل غدة مبينا مقدار تأثيرها فى كل حالة من الحالات النفسية

ولقد دعا هذا كثيرا من العلماء الى القول بأن الغدد الصماء تشترك والجهاز العصبى فى تحديد حالتنا النفسية اشتراكا فعليا ظاهرا . وقد دفعت الابحاث الاخيرة بعض العلماء الى القول بأننا فى

الواقع لسنا الا كما تهيئنا غددنا الصماء أن تكون . مما يجعل لها السيطرة الاولى مع حالتنا النفسية

* * *

ولو تأملنا قليلا ما تقدم لرأينا أن له أبعد الاثر فى ما يتعلق بالتربية . ان بين الاطفال نسبة مريعة ممن نسميهم غير قابلين للاصلاح وهم اما شديدو الكسل والبلاهة والخمول واما شديدو الطلق كثيرو الحركة عديمو الثبات والاتزان وكثيرا مانعمد الى مختلف طرق التقويم من ارهاب أو محاولة أو غير ذلك ولكن على غير جدوي الي أن ينصلح الحال من نفسه يوما من الايام اوالى أن ييأس من ذلك نهائيا فنحكم على الطفل أقسى الاحكام أو نتهمه أشد الاتهامات وقد يكون لذلك اوخم النتائج وأسوأ العواقب على مستقبله وحياته . ونحن نرى الآن أن هذا العمل كثيرا ما يكون مبنيا على خطأ فى فهم الطفل واهماله فى دراسته . ان الطفل الغير القابل للاصلاح لا يوجد ولا بد لنا من الوصول بأي طريق كان الى اصلاحه ودراسة غدده الصماء الدراسة الكافية كفيلة بأن تهدينا الى الطريق القويم

لو أن ماتقدم من الكلام يذكرنا كلما عرض لنا طفل من هؤلاء الاطفال الغير القابلين للاصلاح بان نفكر فيما عسى أن تكون حالة غدده الصماء او يحفزنا على دراسة من هذه الناحيه لكان حقا قد وصلنا الى النتيجة التى نرمي اليها ولادى لنا ولابنائنا الخدمة التى يقصدها

ترقية الفلاح اجتماعيا

يسهل على المتأمل لتاريخنا فى مدى الخمسين أو الستين من السنين الماضية أن يرى أن الاصلاح الذى تناول الريف المصرى فى هذه المدة قد اقتصر على اصلاح التربة لزيادة غلاتها دون اصلاح القرية . أي أننا أصلحنا الارض لكى تزيد أرباحنا منها دون أن نصلح الناس الذين يعيشون على هذه الارض . وبكلمة أخرى نقول أن نهضتنا الزراعية كانت اقتصادية ولم تكن قط اجتماعية

ولكنا ونحن نقول هذا القول يجب الا ننسى أن الاصلاح الاقتصادى يؤدى أيضا الى الاصلاح الاجتماعى . وأن من المحال أن نرق بالقرية رقيا اجتماعيا ما لم نكافح الفقر . واذا كان ريفنا قد ارتقى بعض الشيء من ناحية الاجتماع فعرف أحيانا قيمة المدرسة أو المنزل النظيف أو الاثاث الحسن فلأن الرق الاقتصادى قد هيأ الاسباب لهذا النظر الجديد . أما حيث يكون الفقر بالغا فان التفكير فى الرق الاجتماعى يكاد يكون من الخيالات البعيدة

فاول شرط للترقية الاجتماعية هو الترقية الاقتصادية . وكل ما يزيد ربح الفلاح الاجير أو المالك الصغير أو يفتح لهما أبوابا جديدة للتكسب يعمل لترقيتهما الاجتماعية أيضا

وبعد الترقية الاقتصادية ليس أمامنا غير الارشاد والمعاونة من ناحية الحكومة أو الهيئات الاخرى لكى نفتقل بسكان الريف الى مستوى اجتماعى راق

* * *

أن الريف يعاني أزمة عاتية هذه السنوات . وأغلب الظن أنه لن يعود قريبا الى سابق عهده قبل سنة ١٩٢٩ . وهو مثقل بالديون العقارية كما هو مثقل بالضرائب . وقد كانت الزراعة فى مدى الخمسين أو الستين من السنين الماضية أساس النشاط الاقتصادى فى بلادنا . وهى لا تزال كذلك الآن وان كان هذا الاساس قد أصبح واهيا . وصيحتنا العامة هى : هلموا الى الصناعة . ونحن نتطلع الى أن نكون أمة صناعية ولابد أننا سننجح فى ذلك وتعود الزراعة فى المكان الثانى . بل ربما تجذب المصانع عمال الريف فتتأخر الزراعة أكثر مما ننتظر لغلاء اليد العاملة

وفى مثل هذه الظروف يجب أن تخفف الضرائب والديون العقارية . ويبدو من احصاء المكوس الجمركية هذا العام أن ايرادات الحكومة منها لن تقل عن ١٦ مليون جنيه أى أنها تزيد بكثير على ضعفى الضرائب التى تجبى من الارض . واذن يمكن مع الاطمئنان التفكير فى خفض هذه الضرائب لزيادة دخل الفلاحين كما يمكن أيضا التفكير فى تسوية جديدة للديون العقارية

ان للرقى الاجتماعى ثمنا يجب أن نساعد الفلاحين على ادائه بخفض التكاليف المالية التى يكلفونها من ضرائب أو ديون أو رسوم لمجالس المديريات أو للخفر حتى يمكن الفلاح أن ينفق على ترقية منزله بمقدار مايرفع عنه من عبء هذه التكاليف

* * *

وبعد ذلك علينا أن نغرى المالك الكبير أو المتوسط بالاقامة فى الريف . فان المالك الذى يهجر قريته أو عزبته لكى يقيم فى القاهرة مثلا وينفق فى العام ٤٠٠ أو ٥٠٠ جنيه لو أنه أقام فى قريته أو عزبته وأنفق هذا المبلغ لافشى فى الريف حركة من الرقى الاجتماعى الذى لا يحلم به الآن . وذلك لانه سيضطر الى بناء منزل حسن مؤثث برياش فاخرة وربما يقتنى اتومبيلا . وهو فى عيشه يمثل طرازاً من الحضارة والنظافة والرقى يبعث على الاقتداء بين من هم دونه . واذا كثرت اقامة الاغنياء فى الريف انتقل اليه مقدار من الوان الحضارة المجسمة فى المدارس والملاهى والسينماتوغراف والاندية كما تنتشر حدائق الزينة وبساتين الاستغلال وتصلح الطرق الزراعية ونحو ذلك

والطريق لاغراء المالكين بالاقامة فى الريف أن نجعله نظيفا مامونا مزودا بالطرق الحسنة حاويا للمدارس الابتدائية والثانوية . والواقع أن سكنى الاغنياء فى القرى تعمل لترقيتها كما أن ترقية القرى تعمل لسكنى الاغنياء . فكل منهما باعثة على الاخرى متأثرة بها

وعلى ذلك نستطيع أن نقول أنه اذا وجدت القرية مساعدة مامن الحكومة على ترقية البناء واصلاح الطرق وانشاء المدارس الابتدائية والثانوية والصناعية اقبل الاغنياء على سكنى القرى وأصبحت سكناهم هذه دافعا جديدا لترقية القرية

* * *

ويمكن الحكومة أن تشترك فى ترقية القرية بان تبنى دارا رسمية تكون مركز العمدة . فهذه الدار يجتمع فيها المجلس القروى وتهيأ بقاعة كبيرة يمكن القرويين أن يجتمعوا فيها أما

لسماع محاضرة واما لرؤية قصة أو مناظر سينمائية أو درامة أو نحوذلك . وهذه الدارتصبح بتوالى السنين نواة للحياة الاجتماعية القروية وللتنبيه العام للوجدان المدنى . ورويدا رويدا تنمو فيكون منها جناح صغير يحتوى على طائفة من الكتب والجرائد مثلا . أو يكون لها جناح آخر يتولاه الصراف ويقوم فيه باعمال الجباية وتوزيع البزور والاسمدة والسلف ونحوها

وهذه الدار تختلف من حيث الحجم باختلاف القرية أو القرى التى ستتبعها فى العمدية . ولكن يجب ان تشترك جميعها فى الاسس والقدرة على النمو . وهذا النمو لانستطيع تعيينه من الآن . فقد تنتشر بيننا فى المستقبل فرق الجوالين التى انتشرت فى أوربا . ويحتاج الجوال الى دار تؤويه فى القرى فيجد فى « دار العمدة » بغيته . وقد تصبح هذه الدارمكان الانتخاب اما لمجلس النواب واما لمجلس القرية واما للعمدية . ولذلك يجب ان تبنىهذه الدارمع ملاحظة هذهالاحتمالات فى المستقبل

***

ولكن إذا كانت دار العمدية هى النواة للترقية الاجتماعية فهي ليست كل شيء . فان دور الفلاحين يجب أن ترتقى . وهنا تستحيل المسألة الاجتماعية إلى مسألة اقتصادية . فان تحسين منزل الفلاح يحتاج إلى المال قبل كل شيء . والفلاح — سواء أكان أجيرا أم مالكا صغيرا — يعجز عن التكاليف التى يحتاج اليها منزله لكي يصبح منزلا متمدنا تحتوي غرفه على نوافذ وتفرش أرضه بالبلاط ويسقف بالخشب ويزود بالماء والنور والمراحيض . وحتى اذا فرضنا أن الفلاح قادر على رفع منزله إلى هذه الدرجة فان تخطيط القرية الحاضر يجعل مثل هذا المنزل لا قيمة له فيها . والمنزل الحسن يكاد يكون مستحيلا إذا أحيط بمنازل سيئة فى قرية غبراء متعرجة الأزقة حافلة بالتراب وكيمان السماد البلدى

فاذا كان على الحكومة أن تبنى دار العمدية من خزانتها خاصة فان عليها أن تساعد فى بناء دور القرية . وعندنا فى بنك التسليف الزراعى الوسيلة التى يمكننا أن نتوسل بها لاصلاح القرية . فان هذا البنك يقرض أمواله لاصلاح الارض وزيادة الغلات فلماذا لا يقرضها أيضا لاصلاح القرية ؟

يمكن البنك أن يحدد « سلفة منزلية » تتراوح بين عشرين جنيها ومائتى جنيه لاصلاح المنازل القروية . وهذه السلفة تقسط بحساب ٣ أو ٤ فى المائة على مدى عشرين سنة حتى لا يكون منها

ارهاق . وهي تنفق على اصلاح المنزل داخله وخارجه

* * *

ولكن لا فائدة من ايجاد منزل حسن فى وسط قرية سيئة . ولذلك لا يمكن البنك أن يمنح السلفة ويأمن عليها حتى مع رهن المنزل ما دامت القرية التي هو بها سيئة . ثم ان العناية التي نتوخاها من ايجاد قرية حسنة البناء تصح أن تكون جسما لحياة اجتماعية راقية لا تتحقق . واذن يجب أن يقصر امتياز منح « السلفة المنزلية » على القرى التى لها مجالس قروية والتى يمكن البنك أن يصرح بأنها فى « حال » تستحق فيه منازلها هذه السلفة . كما يمكن البنك أن يشترط شروطا معينة لمساحة المنزل ومواد البناء الخ

وهذه « الحال » هي بلوغ القرية درجة من الرقى المدنى . كانشاء الطرق الحسنة وايجاد نظام للاضاءة ونحو ذلك بحيث لايعود اصلاح المنزل فيها مخاطرة . وبكلمة أخرى يجب أن يتساوق الاصلاح فى المنزل مع الاصلاح فى القرية وألا يسبق أحدهما الآخر

* * *

لقد أشرت فى أول هذا المقال إلى أن أساس الترقية الاجتماعية هو الترقية الاقتصادية . وهذه النقطة تحتاج إلى تأكيد . واختبارنا جميعا يدلنا على أن القرى الغنية فى الوجه البحري حيث يمكن أحيانا غرس الكروم أو استثمار الاشجار الاخرى هى القرى المرتقية . وحيث تعرف الصناعات الزراعية وتعود بأرباح حسنة على أصحابها ترتقى القرية ارتقاء اجتماعيا . وحيث تعرف « شركات التعاون » وتمارس بعض الصناعات كالغزل والنسج ترتقى القرية أيضا فتكون بها مدارس بل أحيانا يشترك السكان فى الجرائد . وهذا واضح فى كثير من قرى الدقهلية والمنوفية والغربية

ويجب لهذا السبب بعد خفض الضرائب والديون العقارية أن نتوسع فى تعميم شركات التعاون وتنويعها حتى يستطيع الزارع أن يصل الى المستهلك ويأخذ لنفسه فرق الوساطة التى يقوم بها التاجر . فاذا زاد ربحه بالتعاون وزادت صناعات القرية الزراعية بما تبتكره الجمعيات من مختلف النشاط التعاونى ، أمكنه أن يرقى نفسه هذه الترقية الاجتماعيه التى تحتاج الى ثمن بل الى ثمن باهظ بالمقابلة الي دخله الحاضر

* * *

والى هنا كان كلامنا مقصورا على الاسس المادية للترقية الاجتماعية . ولم نتناول ماهية هذه الترقية

وايس شك فى أن المدارس تؤلف القسم الاكبر من هذه الترقية فيجب أن تعمم وأن تكون فوق فرض « الكفاية » الذى فرضناه فى المدارس الريفية . لان فرض الكفاية هذا ليس جديرا بالثناء . وقصاراه أن يؤدى حاجة الفقير الذى يجب أن يقنع بالضرورى دون الكمالى . ولكن التعليم فى لبابه كمالى وليس هناك حد للمعارف الانسانية . والاجتماع الراق هو الاجتماع الذي تتنوع فيه الثقافة والشئون الفنية والذهنية . وعلى قدر هذا التنوع يكون الارتقاء

ولذلك يجب أن نتجه الى ترقية التعليم الريفى برفع مستوى المدارس فيه الى ما يقرب من المستوى السائد فى المدارس الابتدائية . وذلك مثلا باستخدام حملة البكالوريا بقسميها فى التعليم فيها

* * *

ويجب أن نعد السينما والمسرح من وسائل الترقية الاجتماعية فى الريف . وذلك بأن نساعد الفرق التى تقوم بالخدمة فى القرى باعانات مالية . وبدهى انه مادامت الحكومة تؤدى هذه الاعانة فان لها الحق فى اختيار مايعرض على اللوحة السينمائية أو يمثل على المسرح حتى تثق بالفائدة العائدة على الريفيين منه

فيمكن فرقة تمثيلية جوالة أن تضرب خيامها فى ميدان احدى القرى وتقوم بتمثيل بعض الدرامات بضع ليال متوالية ثم تنتقل الى قرية أخرى . ويمكنها أن تأخذ رسما للدخول مثلا نصف قرش لانها تنال اعانة حكومية الى جنب هذا المبلغ

وكذلك الحال فى فرقة سينمائية . بل يمكن أيضا ايجاد فرقه بهلوانية مزودة بطائفه من الوحوش التى لا يراها الفلاحون الا حين يزورون القاهرة . وقلما يفعلون ذلك حتى عندما يزورون القاهرة. ورؤية الاسد والببر والنمر والدب والزرد والنعامة تبعث التفكير فى أذهان الفلاحين وتجعلهم يتطلعون الى الحديث النير والقراءة المفيدة

وفائدة الراديو هنا لاتنكر ولكنها بالطبع محدودة بقدرة الفلاحين الاقتصادية ولعدم وجود القوة الكهربائية . ولكن « دار العمدية » يجب أن تحتوى بهواً به مقاعد للاجتماع وفي مثل هذا البهو يمكن الاستماع للاذاعات

* * *

وهنا يجب أن نذكر الدكتور نيتل صاحب المشروع الذى يراد منه تعليم الفلاحين بطريقة الجاميع . وقد ألقى محاضرة حديثة عن هذا الموضوع فى الجامعة الامريكية

فهو يقول أننا نستطيع أن نجمع طوائف من المجاميع التى يمكن أن تودع فى اتومبيل يسير على

السكك الزراعية أو سفينة حيث يتاح ذلك على فروع النيل . وهذه المجاميع تتناول موضوعات تعليمية بحيث يجتمع حولها الفلاحون للتفرج فيتعلمون من حيث لا يشعرون بالتكليف . والمعلم هنا مسامر محدث أكثر منه معلما . فهو مثلا يخرج مجموعة عن الهياكل العظمية للحمار والكلب والذئب والخروف والانسان والحمامة والفأر . فيشرح لهم العلاقات أو الفروق بين هذه الهياكل ثم يخرج مجموعة أخرى عن الاقمشة النباتية والحيوانية والصناعية ويشرحها مع النظر الى التاريخ القديم والحديث . وفى ليلة قمراء يمكنه بتلسكوب صغير أن يجعل الفلاحين يرون الجبال والسهول فى القمر . وفى يوم ما يمكنه أن يريهم أيضاً الاحياء الصغيرة فى المياه التى يشربونها خلال المكرسكوب . ويمكنه أن يعرض عليهم نماذج مختلفة للاعضاء البشرية حين يصيبها المرض مع الشرح الوافى عن العدوي . بل يجب أن يكون معه جهاز سينمائى لعرض الافلام المختلفة المفيدة . ومثل هذه المجاميع يمكن أن تتفاوت قيمتها من مائتى جنيه الى الفى جنيه . ويعتقد الدكتور نيتل انه يمكن الاستغناء بهذه المجاميع عن المدارس . وهو إذا كان مبالغاً فى هذا الاعتقاد فان مما لاشك فيه أن فى نشر الفكرة تنويراً عاما وتسلية جميلة للفلاحين

***

أنى أتخيل قريتنا فى المستقبل مدينة صغيرة ليس فيها بيت بالطوب الاخضر قد رصفت شوارعها الحجر أو بالأسفلت أو على الاقل بالمكدام . وقد نظمت شوارعها من الحقول المحيطة الى ميدانها الذي يتوسطها وهناك « دار العمدية » وهو المقر الرسمي للعمدة وموظفى القرية ومضيفة الموظفين الزائرين . وبه مكتبة صغيرة للمطالعة والاعارة . وبها بهو للاجتماع

والمجلس القروى مع مايحصل عليه من الرسوم من السكان ينال اعانة حكومية لتزويد القرية بالمياه ونقل الكساحة عنها . والمنازل تنال سلفا حسنة لتحسينها وتجميلها . والمدارس فى القرية فى رقى لا ينقطع ومستواها يزيد سنة بعد أخرى . وفى هذه القرية حركة تعاونية تزيد ارباح الفلاحين الذين يتقوون بها على اصلاح أحوالهم . وتزور هذه القرية فرق سينمائية وتمثيلية وتعليمية جملة مرات فى العام

وفى مثل هذه القرية تنمو صناعات زراعية مختلفة كما يكون بها أو بالقرب منها مدارس ابتدائية أوثانوية تجعل الاغنياء يقيمون فيها ولا يهجرونها الى العواصم الكبرى . وهؤلاء الاغنياء ينشرون الحضارة التى يجلبون أدواتها وأذواقها من المستوى الراقى الذى نشأوا عليه

هذه هى القرية كما أتخيلها . وبعض هذا الخيال يمكن تحقيقه باقرب وقت وأيسر جهد . وبعضه يحتاج الى زمن . ولكن يجب الشروع فيه

عدة النجاح لرجل القرن العشرين

لسلامه موسى

قبل نحو عشر سنوات قيلت عن شباب المانيا كلمة لفتت أنظار الكتاب . وهي أن هؤلاء الشباب يقرأون سيرة فورد المخترع الامريكي بدلا من أن يقرأوا سيرة الشاعر الالماني جيته . ولهذه الكلمة قيمة رمزية للقرن العشرين . فان الخيال الذي يؤنس نفوس الشباب في هذا القرن ليس خيال الشعر والقصص الغرامية وانما هو خيال العلم والاختراع وليست عدة الشباب ثقافة أدبية فقط بل ثقافة علمية ترقق حواشيها تلك « الانسانيات » التي هي ميراث الامم المتحضرة من الادب

والقرن العشرون هو قرن الثقافة العلمية والحضارة الصناعية . ولذلك يجب أن يهتم ابناؤه بفورد أكثر مما يهتمون بجيته . ويجب أن يبرع الشاب في تصليح الراديو أو الاتومبيل أو الطائرة بدلا من أن يبرع في انشاد قصائد جيته أو التوجع لآلام فيرتر

« • »

أي نجاح هذا الذي نطلبه لرجل القرن العشرين ؟

١ ـ نجاحا يخدم به نفسه

٢ ـ ونجاحا يخدم به أمته

٣ ـ ونجاحا يخدم به العالم الذي هو وطنه الاكبر

وقد يخدم الانسان نفسه ولا يخدم أمته . وقد يحدث العكس . وهو في الحالين يشقى ولا يسعد ثم هو لا ينال السعادة الحقيقية الا اذا شعر بان خدمته لنفسه تتفق وخدمته لوطنه وللعالم

« * »

كيف يمكن الشاب أن يخدم نفسه في هذا القرن أحسن الخدمة وأوفاها ؟

يمكنه ذلك اذا حصل على شروط مختلفة أهمها هو بلا شك الصحة التامة . فان كثيرا من الاخفاق في المدرسة وفي ما بعد المدرسة يعود الي الصحة السيئة التي لا تقوي على الجهد . بل لقد كان من أعظم الاسباب للبطالة في أوربا ، قبل أن تتفشى البطالة الفنية التي تعزى الى التقدم الآلي ،

سوء الصحة بين العمال . وذلك لان العمل يحتاج للتفوق فيه - كما وكيفا - الى صحة حسنة تمكن لصاحبها من الجهد

ونحن على وجه العموم أمة مريضة ليس فى العالم أمة تقاربنا فى كثرة العمي والرمد او اصابات البلهارسيا . . فاول شرط لنجاح الشاب المصرى فى القرن العشرين أن تهيأ له البيئة الصحيحة التى تمكنه أن ينشأ فيها سليم الاعضاء . وهنا مجهود عظيم يجب على الامة والحكومة ان تقوما به وهو اصلاح المنازل فى المدن والقرى

ولكن صحتنا جميعا هى ثمرة الوراثة والوسط . فلكى ننشأ أصحاء يجب ان نختار اباء اصحاء أو بكلمة أخرى يجب على الحكومة أن تقصر حق الابوة أو الامومة على الاصحاء . وهنا تخطر المانيا أيضا بالبال فيما تتخذه من اجراءات التعقيم . فان اعظم كارثة يصاب بها طفل إنما هى ان يولد وهو مثقل بعبء النقائص او العاهات الذهنية او الجسمية التى ورثها من والديه

ثم هذه الصحة الموروثة يجب ان تجد التربية الحسنة فى البيت والمدرسة . ويجب ان يكون لثقافة الجسم من القيمة مثلما لثقافة الذهن . وهذه الصيحة العالية الى حركات الكشافة والجوالة يجب الا تمر على الصبى - قبل الشاب - دون ان تغرس فيه الحب للرياضة والرغبة فى الخلاء . ويجب ان نتحرى من الانظمة الرياضية والصحية فى المدارس ما يتيح لنا اليوم الذى نرى فيه شبابنا يستبدل بالقيلولة نشاطا ومرحا فى لعبة التنس مثلا . كما يستبدل بالغداء الثقيل الذى يخدر الاعضاء ويدلق البطن غداء خفيفا يجعل الجسم ممشوقا والذهن صاحيا

ولكن مرانة الجسم على الرياضة ليست الكلمة الاخيرة فى الصحة . فان كل شاب يجتاز بمحنة كبيرة أيام المراهقة حين ينتقل من سن الصبا الى سن الشباب . فعلينا أن نحوطه بثقافة جنسية تقيه من اخطار هذا الانتقال دون ان نعمد الي المبالغة المرعبة او الاهمال المخطر . وهنا أيضا يجب ان يحاط الشاب برقابة فلا نشعل شهواته بالمناظر السينمائية او القصص المثيرة

فاذا انتهينا من عدة الشباب الاولى للنجاح وهي الصحة امكننا ان ننظر فى غيرها

« • »

ويحتاج الشباب بعد ذلك اى بعد الصحة الى ان يعيش فى عصره وان يليق لان يعيش فيه . والقرن العشرون هو قرن الثقافة العلمية . فاذا لم يكن الشاب على شيء من العلم فهو ليس ابن

القرن العشرين . وفى اوربا وامريكا حركة فى التعليم تدعى Polytechnisation يراد بها ان يتعلم كل تلميذ حرفة فنية تتصل بالصناعات الحديثة وتقوم على ثقافة علمية . والحق ان الثقافة العلمية ستصبح شرطا اساسيا للتعليم . وتباع فى الولايات المتحدة الامريكية مجلات اسبوعية وشهرية لتعليم المعارف العلمية وهى تبسطها وتعرضها للقراء فى اسلوب مغر بعيد عن المصطلحات الغريبة . وهذا الى مجلات اخرى قد انتشرت عن السيما والراديو والطائرات . والشبان يقرأون هذه المجلات ويجربون التجارب التى تتصل بها . وليس كبيرا على طالب دون العشرين ان يؤلف بنفسه جهاز الراديو بمنزله . وكثير من هواة الاتومبيل يصلحونه عند حدوث أى خلل به كما لو كانوا صناعا مهرة . ومعظم ابناء الجيل الجديد يثبون الى الطائرة بنفس السهولة والمجانة التى كنا نثب بها الى ظهر الحمار أيام طفولتنا

فاذا أضفت الى ذلك أن بيوتنا حافلة بالمخترعات العلمية كالادوات الكهربائية والاقمشة المطبوخة من الخشب — الريون — ونحوها علمت أن البيئة التى نعيش فيها هى الآن الى حد ما علمية . وستزداد سمتها العلمية فى المستقبل القريب . فقد بنى فى العام الماضى منزل فى الصين - أجل فى الصين - قد ضبط جوه . أى انه خلو من النوافذ لا تدخله أشعة الشمس استغناء عنها بالاشعة الصناعية . ولا يجوز اليه الهواء الا بعد أن يغسل ويبرد ويرطب على درجات معينة . وأغلب الظن أننا سنرى مثل هذا المنزل فى القاهرة قبل مرور عشر سنوات

ولهذه العوامل جميعها نرى أن الشاب فى القرن العشرين يجب أن يعد نفسه بالعدة العلمية لا لكى يفهم الوسط الذي يعيش فيه فقط ، بل لكى يكون عضوا مشتركا فيه يعمل لترقيته ولا يعارض لجهله هذه الترقية . فقد ذكرنا هنا بعض التقدم العلمي الذى يتصل بالصناعات . ولكن هناك تقدما علميا آخر يتصل بالسكان والمواليد والوفيات والجرثم والامراض فاذا لم يكن الشاب على الفة بالمقاييس العلمية والنظر العلمى فأغلب الظن أنه يعارض الاصلاحات التى تقترحها الحكومة أو الهيئات المختصة الاخرى

* * *

الصحة الجسمية والثقافة العلمية . هذان هما الشرطان الاساسيان لعدة النجاح لرجل القرن العشرين . وقد سبق أن أشرنا الى أن سوء الصحة كان الى وقت قريب - فى أوربا نفسها - من أكبر الاسباب للبطالة . وهو كذلك الآن فى مصر الى حد ما . بل كثير من الاخفاق فى المدرسة

يعود الى سوء الصحة . كما الامراض الماشية بين الفلاحين تنقص الانتاج الزراعى

وما يقال الآن عن سوء الصحة سيقال أيضا عن قلة الثقافة العلمية . فان البطالة القادمة فى مصر ستعزى فى كثير من الحالات الى قلة المهارة الفنية أى ضعف الثقافة العلمية . لان الوسط العلمى يحتاج لمهارات مختلفة أى أن كل فرد يجب أن يحذق عملا ما . وهنا نعود الى فكرة الصناعات الدقيقة الفنية فى المدارس Polytechnisation . ومهما قيل عن الحركات الفاشية فان مما يجب التسليم به أنها تبعث نهضة فى الشباب وتستهوى نفوسهم بمبادىء معينة . وقد ننكره نحن هذه المبادىء . ولكن فكرة تنظيم الشباب وتوجيهه نحو خيال معين بممارسة رياضة معينة هى فكرة حسنة .

ولو تساءلنا ماهى « الفاشية » التى يجب على شباب القرن العشرين أن ينتظموا فيها لكي يقووا على العيش لقلنا أنها (بعد تثقيف الجسم) هى الاخصاء فى الكيمياء الصناعية . فان هذا الفرع من العلوم سيغمر قرننا هذا بالمخترعات والممكنات الاقتصادية كما غمرت المخترعات الآلية القرن الماضى . وليس بعيدا أن تمحى زراعة القطن قريبا بتغلب المنسوجات المطبوخة من الخشب عليه كما محيت زراعة النيل فى الهند بالاصباغ التى اخترعتها ألمانيا . كذلك ليس بعيدا أن تلغى زراعة القصب والبنجر لان السكر سيصنع قريبا جدا من الخشب . والتبصر يقضى علينا جميعا الآن بان نعد شبابنا بعدة الكيمياء الصناعية التى تقيهم من الفقر القادم حين تتقهقر الزراعة فى الميدان الاقتصادى . وممكنات الكيمياء الصناعية كبيرة جدا بل لاحد لها . وحسبنا أن نعرف أننا حين نستخرج الاسمدة الكيماوية من الهواء انما نزرع الجو بطريق غير مباشر . لاننا نجعل الهواء يزيد محصولاتنا باستنزال النيتروجين منه

بل ربما نكون واهمين فى اعتقادنا أننا بلغنا أقصى ما يمكن بلوغه من الطبيعيات . فقد نفاجأ يوما ما بطريقة جديدة للحصول على القوة من الهواء المضغوط أو من أشعة الشمس أو من غيرها . والشاب الذى لا يثقف ثقافة علمية عامة مع الاخصاء فى فرع منها سيجد نفسه غريبا عن الوسط فلا يحقق نجاحا لنفسه ولا لأمته

* * *

ولكن اذا كان الشاب الذى أتاحت له التربية الجسمية صحة حسنة وأتاحت له التربية العلمية مهارة فنية قد حقق نجاحا يخدم به نفسه ، فان هذا النجاح ليس كفيلا بأن يخدم هذا الشاب أمته أو يخدم العالم . اذ يجب فوق ذلك أن يكون رجلا مهذبا انسانيا له دين ومروءة . بل هو يجب ان يكون له من دينه ومروءته ما يجعله على أهبة تامة فى كل وقت لان يضحي بنجاحه الشخصى

فى سبيل الوطن والانسانية

والعالم كله فى هذا القرن الذى نعيش فيه عرضة لاخطار لا حد لها . وذلك لان الناس قد وجدوا بمخترعات آلية وكيماوية سرعان ما استخدمت فى الحرب . وليس مايدرينا أن هذه المخترعات ستزداد قوة وحدة فى السنين القادمة . وقد رافق ذلك نزعة مادية ودعوة الى القوة تجعلان الخطر كبيرا من الحرب . واذا استثنينا عصبة الامم وبعض الاصلاحات الاجتماعية فى الامم الشمالية فى أوربا والولايات المتحدة جاز لنا أن نقول انه لم تخترع مخترعات اجتماعية لدرء هذا الخطر - خطر الحرب والثورة - عن الناس

وهنا تحضرنا كلمة بليغة كان قد ألقاها الرئيس ولسون مخترع عصبة الامم عن الشروط التى يجب أن تتوافر فى الشاب لكى يكون رجلا مهذبا . وقد كان الرئيس ولسون مغرما بالشروط . وقد نجح بعضها فى خدمة الخير العام وخاب البعض . ولكن شروطه هنا للفرد وليست للحكومات . فهو يقول ان الرجل المهذب يجب أن يعرف أربعة أشياء يثقف نفسه بها . وهى :

١ - احدى اللغات وتفضل لغته الاصلية على أى لغة أخرى

٢ - تاريخ العالم من حيث أنه مجهود عام بين الامم للوصول الى حضارة راقية

٣ - أحد العلوم بحيث يمكنه أن يمارس حرفته بالروح العلمى والدقة والنزاهة التى تقول بهما الطريقة العلمية

٤ - تاريخ الافكار . مثل فكرة الحكومة الدستورية أو فكرة الديمقراطية أو فكرة الفن الخ

* * *

وليس هنا مجال بحث هذه الشروط والافاضة فى شرحها . ولكننا نحتاج الى ان نمسها مسا خفيفا . ونستطيع ان نترك الشرط الثالث وهو ضرورة الحذق لاحد العلوم . فقد أوضحنا قيمة ذلك . أما الشروط الثلاثة الاخرى فأولها ضرورة العلم باحدى اللغات مع ايثار لغة الوطن على أى لغة أخرى . فان التفكير المنظم لايمكن بدون أن تحذق اللغة التى نفكر بها . ونحن نفكر بالالفاظ فاذا كانت هذه الالفاظ مرجرجة غامضة اصبح تفكيرنا كذلك مرجرجا غامضا . ومن هنا ضرورة العناية باللغة حتى تخدم التفكير السليم

والشرطان الثانى والثالث ينصان على ضرورة درس تاريخ العالم وتاريخ الافكار . والمقصود

من هذا الدرس أن يعود الشاب انسانا يخدم وطنه كما يخدم الرقى فى العالم كله لانه يشعر من درس هذين الموضوعين أنه عضو فى أسرة كبيرة هى النوع البشرى كله . فهو يعمل لمكافحه الفاقه والبؤس في بلاده كما يعمل لمكافحة الحرب فى العالم . وهو لانه قد درس تاريخ الحرية والرق والمبادىء الدستورية يغار على الرقى الاجتماعي ويرضى بان يضحي بنفسه فى سبيل حماية هذه الحقوق التى اكتسبها الناس فى مدى المئات بل الالوف من السنين

وقد نلاحظ هنا أن الدكتور ولسون لم يذكر الدين كشرط من شروط الرجل المهذب ولكن ليس هذا لانه ينتقص قيمة الدين . فان حياة هذا الرجل وأغراضه فى الخدمة العامة ومكافحته للحرب تدل على أن مزاجه هو المزاج الدينى . وأغلب الظن أنه يعد الدين نتيجة أو ثمرة لهذه الشروط الاربعة

وخلاصه القول أننا نرى أن عدة النجاح لرجل القرن العشرين تنحصر في :

١ — ان يكون سليم الجسم معافى من الامراض قدتعود عادات حسنة فى الطعام والرياضة

٢ — ان يكون على ثقافة علمية عامة ومهارة فنية علمية فى احدى الصناعات

٣ — ان يكون رجلا مهذبا على النحو الذى يشرحه الدكتور ولسون حتى تكون الي جنب مهارته العلمية اخلاق تجعله يستخدم هذه المهارة للخير العام للوطن والعالم

٤ — ونعتقد أن هذه التربية تجعله على الرغم منه رجلا متدينا بحيث انه يجعل الدين الاساس الذي ترتكز عليه أخلاقه

استثمار نهضة المرأة المصرية للخير العام

كانت نهضة المرأة المصرية محتومة . لأن انحطاطها السابق كان بعض انحطاط الامة الذى ورثته عن القـرون المظلمة . فلما نهضت الامة رجالهـا وشبابها نهضت المرأة . وهى اذا كانت قد تخلفت بعض الشىء فهذا التخلف لايتجاوز ما هو حادث حتى عند أكثر الامم تقدما حيث المرأة لا تبلغ مستوى الرجال ولو منحت جميع الحقوق التى يتمتع بها الرجال

وليس هذا مقام التعييـن لاسباب النهوض . فقد يعزو أحدنا إلى قاسم امين السبب الاكبر . كما يعزوه آخر الى ضغط الحضارة الحديثة لنـا . بل ربما يكون فى الازياء الباريسية التى لا ينقطع سيلها عنا ولا ينقطع اغراؤها لفتياتنا وسيداتنا سبب آخر لهذا النهوض . لان المراة أو الفتاة التى تتخذ الازياء الباريسية يجب أن تتخلق ببعض الاخلاق الغربية التى توائم هذه الازياء . الا ترى أن السيدة التى لاتزال تتخذ الحبرة أو الملاءة مع النقاب تتخذ مشية خاصة فيها أحيانا ترنح أو تبختر مع تمهل فى حين تتخذ الفتاة المتفرنجة فى زيها مشية سريعة مع قامة معتدلة ؟ بل أن لغة المرأة وهى فى الملاءة أو الحبرة تختلف من لغتها وهى فى القبعة

ثم هناك مجهود الحكومة والأمة فى تعليم المرأة . وهو مجهود بدأ ضعيفا ونما ببطء ولـكن سرعته زادت فى السنين الاخيرة

ولـكن للعوامل الاقتصادية على قلتها أثراً كبيراً فى نهضة المراة . فان المرأة حين احترفت التعليم بعثت اغراء جديداً على التحاق البنـات بالمدارس للتعلم . ولـكن يجب بعد كل ذلك أن نقول أن نهضة المرأة كانت بطبيعة الأشـياء تابعة لنهضة الامة . ولذلك كانت هذه النهضـة على اقصاها سنة ١٩١٩ ثم زادت اندفاعا بعد ذلك

وقد وصف السر فالنتين تشيرول فى كتابه « المسألة المصرية » اشتراك النساء المصريات فى الاضطرابات التى حدثت سنة ١٩١٩ بقوله :

« لقد كن يتحمسن فى حنق وطنى جنونى . وفى الايام العاصفة من شهرى مارس وابريل كن يخرجن جماعات كبيرة الى الشوارع . وكن يرين فى المقدمة فى كل مظاهرة ثائرة . وكن يسرن فى موا كب بعضهن على الاقدام وبعضهن فى العربات يصحن فى طلب الاستقلال وينـادين بسقوط الانجليز باللغات العربية والفرنسية والانجليزية وهن يلوحن بالاعلام الوطنية . وكن يحتشدن فى

منازل الزعماء المتطرفين ويلقين خطبا حماسية . وكن يسرن جماعات كبيرة خلف الجنازات التى تحمل رفات المتظاهرين الذين قتلوا فى الشوارع وكان نواحهن العالى بمثابة النداء البليغ للانتقام .

وقد اشتركن فى اقامة المتاريس . ومع انهن كن يتفرقن عند بداية القتال فقد لوحظ أن بعضهن كن يعدن لكى يلتذذن رؤية نتيجة العنف الذى قام به الرجال . ولما أضرب الموظفون كانت فرق النساء يخرجن للمراقبة عند أبواب الوزارات لكى يمنعن أولئك الذين كانوا يريدون العودة . وفى الهياج الذي قام به الفلاحون اشتركت النساء مع الرجال فى قطع الخطوط الحديدية واتلاف التلغراف وفى النهب والحرق . وكانت النساء أيضا ظاهرات فى المظاهرات الصاخبة ضد لجنة ملنر . . . »

* * *

وليس شك فى أن سنة ١٩١٩ كانت بمثابة الصدمة العنيفة التى توقظ النائم . ولكنها لم تكن كل شىء فى النهضة . والصحيح أنها كانت نتيجة لنهضة سابقة وسببا لنهضة لاحقة

ونحن الآن فى نهضة نسائية لاشك فيها وهى تندفع فى نشاط الى نواح مختلفة . ومن مصلحة الامة أن تستثمر هذه النهضة للخير العام

والخير العام يقتضى أن تكون المرأة إنسانا مهذبا قبل كل شىء . ثم اماً تستطيع القيام على تربية أولادها . ثم زوجة تؤانس زوجها وتستطيع أن تكون رفيقته الروحية . فاذا لم تستطع أن تكون زوجة واماً فيجب أن يكون فى قدرتها تحصيل عيشها فى جد وشرف

* * *

فيجب أن نضع نصب أعيننا قبل كل شىء أن تكون المرأة انساناً مهذبا لها الحق فى أن تغذو ذهنها بالعلوم وتزوده بمختلف ألوان الثقافة . ويجب أن يكون هذا الحق على قدم المساواة مع الرجال لاننا حين نعلمها فى المدرسة لا نعرف الحظ الذى سوف تلاقيه . وليس من حقنا أن نعين لها هذا الحظ . لانها قبل شىء وفوق كل شىء إنسان له حق تقرير المصير فى هذه الدنيا .

والثقافة هى التراث الذهنى للبشر فمن حقها أن تصيب منه بمقدار ماتسمح لها به كفايتها . ومن الضرر العظيم على الامة أن تقصر الثقافة على الذكور دون الاناث لان هذا التحديد يفصلها امتين متباينتين . وهذا التباين تبدو لنا اماراته فى وقتنا الحاضر حين نجد الزوج متعلماً راقياً له مكتبة حافلة بالكتب فى لغات ثلاث أو أربع فى حين تجهل زوجته الآفاق الذهنية التى يتطلع اليها ويهتم لها . فكأن كلا منهما من أمة مختلفة . وهما عندئذ لا يجتمعان إلا للماديات ليس بينهما صلة روحية أو حديث يزدان بالانسة التى تنشأ من الاشتراك فى مستوى التفكير

ولهذا السبب يجب أن نفتح أبواب مدارسنا وكلياتنا على قدم المساواة بين الجنسين . ويجب أن نذكر أن مصلحة الذكور تقتضى فى المدارس هذه المنافسة من الاناث

* * *

ولكن هذه الرغبة فى المساواة يجب ألا تعمينا عن مهمة تكاد المرأة تختص بها دون الرجل نعنى مهمة تربية الأولاد . فقد أثبتت السيكوجية الحديثة أن السنوات الأربع أو الخمس الأولى هى السنوات التى تستقر فيها أخلاق الانسان بالاستجابات الذهنية والعصبية التى يستجيب بها للوسط الأول، وسط الطفولة . وهو فى هذه السنوات يتصل اتصالا حميما بالام يرضع ثديها ويتعلق بذيلها ويتعلم مبادىء الكلام منها . وتنغرس فيه بذور العواطف أي أسس الأخلاق . والطفل الذى يرى أمه تخاف الغريب وتهرول عند ماتسمع طرق الباب ينشأ وهو أيضا يخاف الغريب ويتهيب الدنيا ويتراجع أمام الأعمال المجهولة . وذلك لانه تعلم فى طفولته أن يستجيب بالخوف من الطارق المجهول وهذه الاستجابة تثبت فيه مدى حياته

وقل مثل ذلك فى سائر الاستجابات . فاذا كانت الام جاهلة نشأت الامة كلها على استجابات سيئة أى أخلاق سيئة . ومن الخير العام لهذا السبب أن نربى نساءنا حتى يكن أمهات مربيات لان التبعة الملقاة عليهن كبيرة وهى لاتلقى على الرجال

فلتحصل الفتاة على ثقافة الرجال اذا شاءت . ولكن يجب علينا أن نزيد فى تعليمها مواد أخرى تتصل بالامومة أي تربية الطفل على الشجاعة والصدق وعادات النظافة والصحة والذكاء . وأقول « الذكاء » لانى أفهم أن كثيراً منه ليس فطريا وإنما هو مكتسب بعادات النظر والفحص والتطلع والامتحان . وأقول « الصحة » لأن معظم العمى الذى يصاب به أبناء الامة ترجع التبعة فيه الى الأم التى أهملت علاج طفلها حين رمدت عينه

* * *

ولكن هذه الدنيا لاتكفل لكل أنثى زواجا وأمومة . وهى إذا كفلتهما بعض العمر فقد لاتكفلهما طول العمر . والترمل كالعزوبة يصيبان النساء . فيجب أن نربى المرأة لكى تستطيع أن تواجه الدنيا فى شرف وجد ومهارة إذا لم توفق إلى الزواج أو اذا نكبت بوفاة زوجها . اذ عليها عندئذ أن تعول نفسها وأولادها . ولهذا يجب أن تعلم إحدى الصناعات . وأليق الصناعات للمرأة هو التمريض لانى فى طبيعتها المواساة التى هى أقرب الصفات الى الامومة . وفى مصر لايزال التمريض فى أيدي الرجال . وهذا خطأ بل خطل . ويجب أن ينزع من الرجال ويسلم للنساء ثم تأتى بعد ذلك صناعة التعليم . وتعليم الاطفال فى الرياض وتعليم الصبيان فى المدارس الابتدائية

كلاهما فى أيدى النساء فى أقطار أوربا وأمريكا . وهذا مايجب أن نتطلع اليه فى المستقبل أيضا . لأن المعلمة بين الصبيان أو الاطفال تمارس فى التعليم أمومتها الفطرية كما تمارسها فى التمريض سواء . وكذلك يمكن المرأة أن تكون طبيبة ومولدة

ثم هناك صناعات أخرى منزلية يمكن نساءنا أن يحذقنها ويؤدينها فى أوقات الفراغ وهذا بالطبع مع مراعاة اختلاف البيئة

* * *

إن مانقلناه عن السر فالنتين تشيرول يثبت شجاعة المرأة المصرية وصدق وطنيتها . ولكنها الآن متخلفة فى ثقافتها عن الرجل . فيجب أن يرتفع مستواها الثقافى حتى تستطيع اذا تزوجت أن تشترك مع زوجها فى الحديث المنير وبحث المسائل العامة . وهى بهذا الحديث وهذا البحث تزداد بصيرة فى معنى الوطنية كما أن البيت يعود شركة روحية جوه مفعم بالأنسة والعواطف الراقية وليس مكانا للشراب والطعام

ثم يجب أن نذكر أنها قد تكون أما . وعندئذ تزداد تبعتها . لانها تعود المربية الحقيقية لأبناء الامة جميعهم وهى التى تغرس فيهم أصول الاخلاق التى ستلازمهم مدى حياتهم . فلا بد من أن نعلمها هذه الواجبات . ثم يجب أن نحسب لسوء الحظ فنزودها بصناعة أى حرفة تستطيع أن تعول بها نفسها اذا كانت عزباء أو نفسها وأولادها اذا صارت أرملة



البطالة ووسائل علاجها

والتعليم الاقليمي واثره فى علاج البطالة

البطالة الشائعة فى الاقطار الاوربية والامريكية ليست من الطوارىء المفاجئة وانما هي تطور لازم للرقي الصناعي هناك. ولباب هذا الرق منذ أن بدىء العصر الصناعى فى انجلترا هو الاستغناء عن العامل باستخدام الحديد والنار أو ـ فى زماننا ـ بأستخدام الطاقة الكهربائية. والمصنع يعد نفسه سائرا فى طريق الرق اذا هو اهتدى الى وسيلة للاقلال من عماله باختراع جديد فى الآلات

ولايخلو مصنع كبير فى اوربا أو امريكا من معمل للتجارب العلمية التى يقصد منها الى الوصول الى الاقلال من تكاليف الانتاج. والاستغناء عن العامل هو بعض هذا البرنامج

واذا اعتبرنا الازمة الصناعية فى العالم وجدنا أنها تسير الى التفاقم من هذه الناحية. والبطالة الفاشية فى أوربا يمكن أن تعد ـ لهذا السبب ـ بطالة فنية أى أن الرقى العلمى ينقص الايدى العاملة فيها وسيزيدها نقصا فى المستقبل. ولكن يجب مع ذلك ألا نغفل حقيقة أخرى وهي أن الرقى العلمي يستحدث صناعات جديدة. وبهذه الصناعات تزيد الايدى العاملة كما يتضح أمامنا من صناعات الاتومبيل والسيمانوغراف والردبوفون والطائرات الخ

* * *

هذا فى أوربا وأمريكا حيث السناعات الآلية متقدمة. فهل نجد شبها لهذه الحال فى مصر؟ نجد شبها ضعيفا جدا لايستحق أن نأبه به كثيرا. ولكن ربما نحتاج فى المستقبل القريب الى أن ننظر بجد وعناية الي المشاكل التى سوف تنشأ من مطاردة الآلات للعمال. وعندنا الآن من هذه الحال بوادر وعلامات:

١ ـ مثال ذلك أن الاتوبيل قد طرد الجواد وانخفضت بذلك قيمة الشعير والتبن وتربية الخيول

٢ ـ استعملت « الدوائر » الزراعية الكبرى وبعض كبار المزارعين الآلات البخارية والموطرية بدلا من الثيران فى الحرث والري، فتأخرت زراعة الفول

وبالطبع نشأت من ذلك بطالة جزئية بين الفلاحين . وهي بطالة لا نكاد نشعر الآن بها . ولكن اذا أخذ الاعتماد على الآلات البخارية والموطرية يزداد فاننا لابد شاعرون بها يوما ما . مالم تتنوع الصناعات الزراعية أو تجذب مصانع المدن عمال الريف

* * *

وازدياد الحركة الصناعية الآلية فى السنين القادمة لن يحدث فى بلادنا بطالة قريبة . لأن الصناعات التى ستنشأ وتمارس بالآلات لن تقتل صناعات يدوية سابقة . فان الواردات الاوربية فى مدى الخمسين أو الستين من السنين الماضية قد قتلت صناعاتنا اليدوية . فاذا أنشأنا مصانع آلية فسوف يكون أثرها فى خفض هذه الواردات أو منعها . ولذلك لن نخشى عطلا قريبا بين عمال هذه المصانع الجديدة . بل أغلب الظن أننا سنجد اغراء هذه المصانع قويا على الفلاحين وسنحتاج الى التفكير فى ابتكار الطرق لاستبقاء الفلاح فى أرضه . ولابد من مرور سنين كثيرة قبل أن نحس بان البطالة الفنية أزمة تحتاج الى الحل كما هى الحال الآن فى أوربا

* * *

ولكن فى بلادنا بطالة بين المتعلمين لايمكن انكارها . وهى حادة يخشى على الاخلاق والاجتماع من عواقب التذمر الذي تحدثه في نفوس العاطلين . فان الاعلان عن وظيفة صغيرة لايزيد مرتبها على بضعة جنيهات يجذب مئات الطلبات من حملة الشهادات العليا أو المتوسطة ويجب أن نعرف الاسباب لهذه البطالة حتى نهتدى بتعيين الداء الى وصف الدواء

فقد قيل مثلا في أسباب البطالة أن مدارسنا كانت ولاتزال تعلم الشبان لكي تخرج منهم موظفين . وهذا صحيح . ولكن يجب ألا نبالغ فى هذه الدعوى . فان نظام المدارس عندنا وبرامج التعليم لايختلفان عما هما فى أوربا وخاصة فى الامم اللاتينية ومع ذلك لاتتفشى فيها البطالة بين المتعلمين تفشيها عندنا

وكثيراً مايقال ويكرر القول بان شباننا يكرهون العمل الحر ولم يتعلموا الاعتماد على النفس وما الى ذلك . وهذا من الكلام الذي يقال للكلام فقط . فان الاقدام على العمل الحر مع الجهل التام به لايعد اقداما ممدوحا بل تهوراً معيبا . وجميع الاعمال الحرة تحتاج الى رأس مال قل أو كثر وليس هذا متوافراً لشباننا

ونحن نختلف من أوربا فى شىء واضح . وهو أن الاعمال الحرة المهمة يقوم بها أبناء الجاليات

الاجنبية فى بلادنا . وهذه الجاليات تؤثر أبناءها على أبنائنا حين تحتاج الى موظفين . وليس ذلك لان الشاب المصرى لايجيد العمل عندها بل لان البيت التجاري أو الصناعى يفضل الموظف الانجليزى اذا كان هو انجليزيا ويفضل الموظف اليونانى اذا كان هو يونانيا وهلم جرا

ويضاف الى ذلك أن الحرف الفنية مثل المحاماة والطب والهندسة ليست خالصة لابناء البلاد فان لأطبائنا مزاحمين من الاطباء الاجانب . وكذلك للمحامين المصريين مزاحمون من المحامين الاجانب . والشركات الاجنبية لاحصر لها

* * *

ونحن حين نقول أن الاعمال الحرة فى أيدى الاجانب وأن كثيرا من الحرف الفنية كذلك فى أيديهم لانعنى القاء اللوم عليهم فى البطالة المتفشية بين شباننا . فان هذه الحال تعزى الى ظروف ماضية ليس من السهل تعيين التبعة فيها . ومما لاشك فيه أن مستوى الحضارة الذى بلغناه يعزى بعضه بل كثير منه الى هذه الجاليات التى كانت حلقة الاتصال بيننا وبين الحضارة الاوربية

ولكن يكفى أن نقرأ تقرير بنك مصر الذى نشر فى الصحف قبل أيام . وفيه يقول مديره أن عدد موظفى هذا البنك قد بلغوا هذا العام نحو ٦٥٠ موظف . ومعنى هذه الارقام أن فى هذا المؤسس المصري ٦٥٠ شاب متعلم يحصل على عيشه . أو بكلمة أخرى نقول أنه لو لم يكن لنا هذا المؤسس لزادت البطالة بمقدار ٦٥٠ شاب عاطل

ويمكننا أن نقيس على ذلك . وأن نقول أنه لو كانت الاعمال الحرة جميعها فى أيدى المصريين أى لو كانت جميع البنوك والشركات الكبرى الاخرى تديرها وتملكها أيد مصرية لوجد شباننا المجال الرحب لاستخدامهم . ولكن الحال ليست كذلك

* * *

وليس من المعقول — حتى مع الغاء الامتيازات الاجنبية — أن تعمد حكومتنا الى البيوت التجارية أو الصناعية الاجنبية وتطلب منها اخراج موظفيها الاجانب لكى تستخدم بدلا منهم شباننا . ولكن كل مايمكن أن تقوم به حكومتنا لضمان العمل لابناء الامة أن تمنع هجرة الاجانب الى مصر ماداموا يؤدون أعمالا يمكن أبناء البلاد أن يؤدوها . وحسبنا مثالا على ذلك أن الحكومة البريطانية منعت سفر أحد المغنين الايطاليين الى لندن للغناء فى أحد مسارحها بحجة أن بين الانجليز من يمكنه أن يغنى . . .

وكذلك يمكن الحكومة أن تشترط فى منح الامتيازات للشركات الجديدة تعيين الموظفين المصريين بمقدار مئوى معين . ويمكن كذلك الاتفاق مع الشركات الكبرى على تعيين الشبان . ولكن من المبالغة فى التفاؤل أن نعتقد أن هذه الشركات تقبل اقتراحات الحكومة بلا مقابل . واذن يجب أن نترك هذه المسألة الى أن تلغى الامتيازات الاجنبية ، أو يقتصر السعى فيها على الاتفاقات الودية بين الشركات الاجنبية والحكومة

والشكوى فى أوربا من بطالة المتعلمين هى بالطبع دون الشكوى من بطالة عمال المصانع . ولكنها مع ذلك يحس بها فى فرنسا وألمانيا وانجلترا . وفى فرنسا كما فى غيرها دعوة قوية لتعليم الشبان صناعات فنية Polytechnisation أي يجب أن يعلم كل شاب فى البلاد عملا صناعيا يمكنه عند الحاجة من أن يعود عاملا راقياً فى أحد المصانع

وهذه الدعوة يجب أن نعد الأذهان لقبولها فى مصر . والعمل بها سيحتاج بالطبع الى وقت طويل . ولكن يبدو لى أن التعليم سيتجه نحو هذه الوجهة فى جميع الامم المتمدنة اى وجهة أعداد كل شاب لان يحسن عملا فنيا فى احد المصانع

***

أن مما لاشك فيه أن الوسط الذهني والاجتماعي الذى سيعيش فيه الشعب المصرى فى السنين القادمة سيشبه ما نراه فى اوربا أو امريكا فى الوقت الحاضر اي :

ثقافة علمية وحضارة صناعية

فيجب أن نعد شباننا لهذا الوسط بان نعلمهم صناعات فنية وأن نزودهم بالثقافة العلمية التى تجعلهم على ألفة كبيرة اوصغيرة بالمخترعات الكهربائيه أو الموطرية أو الكيمياءالصناعية أو المعارف البيولوجية التى ينتظر ترقيها وتفشيها . فيجب على مدارسنا أن تعلم كل تلميذ كيف يصلح الراديو مثلا فى منزله . كما يجب أن تنوع العلوم فى الدراسة الثانوية مع التعمق والتخصص بحيث يستغنى بواحد منها عن سائرها حتى يكون الحاصل على الشهادة الثانوية مؤسسا باحد العلوم الحديثة متعمقا فيه بدلا من أن يتوزع نشاطه على جملة علوم يعرفها معرفة سطحية

***

وكذلك تجب مراعاة الاقليم فى توقى البطالة فى المستقبل بحيث تعلم الصناعات التي تليق لكل اقليم . ولكن يجب ألا نبالغ فى ذلك فان للبيئة الاجتماعية قيمتها فى الصناعة مثل البيئة

الجغرافية أو الاقليمية . بل ربما كانت البيئة الاجتماعية أكبر قيمة . فليست سويسرا مثلا معدة لصناعات الساعات اكثر من مصر . واقاليم ايطاليا لا توافق صناعة الاتومبيلات اذا اعتبرنا أن الحديد والفحم ضروريان لهذه الصناعة . ومع ذلك نجحت هذه الصناعة فى ايطاليا . وقد كان يقال لنا قبل عشرين أو ثلاثين عاما أن مصر لا يمكن ان تكون صناعية لانها خالية من مناجم الفحم . وقد اتضح خطأ هذا القول . وربما كانت دنمركا اقل الاقاليم الاوربية ملاءمة للزراعة ومع ذلك هي أكثر الامم امعانا فى التقدم الزراعى

ولكن مع كل ذلك يجب ألا تنسى أن صناعات اللبن تحتاج الى اللبن الطازج ولذلك يحسن أن تنشأ الى جانب المراعى كما فى دمياط مثلا . وأن صناعة الازرار الصدفية تلائم الاقليم المحيط بالبحر الاحمر حيث المرجان والصدف . وان أحسن ما نخدم به سكان الواحات أن نعلم أبناءهم تجفيف البلح أو خزنه أو زراعة الزيتون وعصره . وأن جميع القرى المصرية يجب أن تمارس هذه الصناعات الزراعية كما أن بعض المدن البحرية تمارس تمليح السمك

***

ولكننا عندما نتكلم عن التعليم انما نتكلم عن المستقبل . وانه يجب أن نعد المدرسة ثم نعلم الجيل الجديد ، فننشر الثقافة العلمية ونلقن الصناعة الفنية

ولكن الآن ، ماذا نفعل الآن لمعالجة البطالة ؟

أما بطالة العمال فى المصانع فيجب الا تشغلنا كثيراً . لان أرجح الظن أن المصانع المنشأة بل التى ستنشأ ستستوعب العمال جملة سنوات قادمة ، وكل ما يمكن أن يقال هنا أن تنشأ « بورصات العمل » لتسجيل أسماء العاطلين وارشادهم الى امكنة العمل التى تحتاج اليهم . وهذه البورصات يصح أن تكون النواة للاصلاح الاجتماعى فى المستقبل

وكذلك ازدحام العمال الزراعيين كما فى مديرية المنوفية وغيرها سيخفف عنه بالطبع باستزراع الارض الغامرة فى شمال الدلتا والدقهلية والارض القاحلة فى مديريتى البحيرة والشرقية . والحركة الصناعية ستخفف أيضاً هذا الازدحام بجذب بعض الفلاحين الى المدن

أما بطالة المتعلمين فيمكن ان تعالج على النحو التالي :

١ ـ تشجيع الشبان على التجارة بايجاد التسليف التجارى والتوسع فيه

٢ ـ التوسع فى التسليف الصناعى دون الحاجة الى رهن العقارات بل يكتفى بالآلات التى بالمصنع

٣ ـ اعفاء المصانع الصغيرة من تكاليف الترخيص . ما دامت القوة التى يستعملها المصنع لا تزيد على خمسة احصنة

٤ ـ استخدام حملة البكلوريا بقسميها معلمين فى مدارس التعليم الاولى والترقى به الى أن يقارب المدارس الابتدائية

٥ ـ منح خريجى المدارس الزراعية أرضاً من تلك التى تستصلحها الحكومه مع سلفة زراعية ابتدائية

٦ ـ الاتفاق مع الشركات الاجنبية والمصرية على استخدام شبان مصريين لقاء اعانة عن كل شاب على نحو ما يجرى فى المدارس الاهلية مع حق الحكومة فى مراقبة الحسابات عند هذه الشركات

٧ ـ تحديد هجرة الاجانب بحيث لا يزاحمون أبناء البلاد فى عيشهم

* * *

هذا هو ما يمكن أن يقال فى معالجة البطالة الحاضرة . أما الوقاية من البطالة القادمة فيجب أن نسترشد فيها بما تقوم به الامم الصناعية مثل انجلترا أو الولايات المتحدة . فلا شك فيه أننا صائرون الى الصناعة وأن البيئة الصناعية ستشمل بلادنا قريبا . وهذا حسن حتى مع الاعتراف بأن البطالة من لوازم البيئة الصناعية

ولسنا هنا فى مقام المفاضلة بين الوسط الزراعي وبين الوسط الصناعى . فان الاول هو وسط الفقر الذى لا يعرف البطالة . والثاني هو وسط الغنى الذى تلازمه البطالة . والرأى العام فى مصر مصمم على الصناعة . وهو يصمم عليها لعوامل سيكلوجية تمس كرامة الامة ولا محل لشرحها هنا . والبطالة اللازمة للوسط الصناعى هى « البطالة الفنية » ونحن ـ كما قلنا ـ بعيدون عنها الآن وسنبقى مدة طويلة بعيدين عنها

الجمال والذكاء والاخلاق

مجموعة لاتنفصل

ان ما نقصد اليه فى هذا المقال هو أن نبين أن هذه الصفات الثلاث لاتنفصل بل تجتمع . فالرجل أو المرأة التى تبدى ذكاء هى أيضا التى تبدى جمالا وأخلاقا . والرجل الذكى الذى يتفوق بذكائه كذلك يتفوق بمتانة أخلاقه على سائر الناس وهو أيضا الرجل الجميل . وبكلمة أخرى ليس هناك جمال الا ويرافقه ذكاء وأخلاق

واسمع الآن اعتراضات بان هذا خطأ لان المرأة الجميلة قلما تكون متينة الاخلاق إلا فى النادر واننا نعرف كثيرين من الرجال الاذكياء الذين ليس على وجوههم شىء من مسحة الجمال وأنا أسلم بشىء من هذين الاعتراضين ولكن يجب أن نقسرهما لكى نعرف تعليلهما

فالمرأة الجميلة تنشأ منذ صباها وهى تعيش فى فتنة كأنها محنة يغرها الثناء . وهى تنخدع أحيانا به . وهى تدلل منذ الطفولة . والتدليل نكبة يصاب بها بعض الاولاد ويبقى أثرها فى حياتهم الى الموت سواء اكانوا رجالا أم نساء . وازاء هذه التجارب كثيرا ماتقع الفتاة الجميلة فى الغواية . بل الجمال فى الفتيان يؤذيهم أحيانا لهذا السبب نفسه . لان الاعجاب يعود اغراء ثم اغواء . ولكن حتى مع هذه الفتنة التى لاتنقطع منذ الميلاد الى مابعد الشباب نجدنا لانتمالك من أن نسلم بان عدداً كبيراً من الجمال فى الرجال والنساء يرافقه ذكاء نادر وأخلاق متينة . بل هؤلاء هم الكثرة التى لم تستطع فتنة الثناء أو قوة الاغراء أن تفسدهم

والاعتراض الثاني أن هناك عددا كبيرا من الرجال والنساء هم من الدمامة بمكان . ومع ذلك يبدون ذكاء وأخلاقا . وهذا حق أيضا ، ولكن ألسنا نرى هنا أن الفتاة الدميمة تصونها دمامتها من الفتنة ازاء الفتاة الجميلة ؟ هذه ترى اعجابا واغراء وتلك لاتجد شيئا من ذلك . فالواحدة عرضة للخطر والاخرى آمنة منه . ثم هناك أيضا عامل آخر فان الدمامة نقص ينبه الذهن احيانا الى ضرورة التكمل والتمهر . أو هي تحدث فى النفس مايسمى « مركب النقص » تبعث الذكاء الخامد وتحض على ترسم الاستقامة . فالدميم يقدم الى الدنيا ويشعر كأن ليس له صديق . فهو يتمهر ويتبرع

ولكن الجميل يجد الدنيا كلها تصادقه وتحابيه وهو لهذا يحمل ويحمد

ولكن حتى مع جميع هذه الاعتبارات نجد بالتأمل أن الذكاء يرافق الجمال والاخلاق الحسنة

* * *

ولنضرب على ذلك أمثلة شائعة يعرفها الجميع

١ ـ ففى بلادنا ضرب من البلاهة نعرفه بسحنة الوجه المغولية . وهى سحنة قبيحة يتكلم فيها الوجه وتبرز الوجنتان كأن صاحبها صينى منحط . وهنا نرى بكل وضوح دمامة ترافقها بلاهة ووجها مشوها يسقط من فيه اللعاب

٢ ـ يمكن جميع المعلمين أن يسلموا بان السحنة الحسنة فى التلاميذ هى البرهان على الذكاء . وهذا مع بعض شذوذات نشأت من تدليل الطفل الجميل ومن تمهر الطفل الدميم

٣ ـ أرقى الافراد فى الامة هم أيضا أجمل الافراد . ويمكن أن يعرف ذلك بسهولة عند ما ننظر فى متوسط الجمال فى أعضاء البرلمان ونقابله بالمتوسط العام للجمال فى الامة

٤ ـ ويمكننا أن نزيد على ذلك بان الامم المتمدنة فى العالم هى الامم الجميلة وان أحط السلالات البشرية هى أيضا أقلهن جمالا وذكاء . وقليل من التفكير يدلنا على أن هذه الصفات الثلاث ـ الجمال والذكاء والاخلاق ـ هى فى حقيقتها صفة واحدة تورث مجموعة ولا يمكن فصلها الواحدة من الاخرى . فلنفكر إذن قليلا

* * *

ليس شك فى أن الجمال منشود يطلبه الرجل فى الفتاة التى يرغب فى زواجها وليس شك أيضا فى أن الرجل الناجح المتفوق هو الذى يحصل على الفتاة الجميلة . فالنسل الناتج من هذا الزواج يجب أن يجمع بين ذكاء الاب وجمال الام . وقد كان هذا سنة الاجتماع قبل أن يعرف الانسان الحضارة . فان ذلك الفتى الذكى القوى الذى كان يحتال على الصيد ويوقع بالقنيصة قبل عشرة آلاف أو عشرين الف سنة كان لذكائه هذا وقدرته على الصيد يجذب اليه أجمل الفتيات فى الغابة . وأغلب الظن أنه لم يكن يقنع بفتاة واحدة جميلة ، وقد جرى هذا قبل الحضارة ثم مدة الحضارة . فاقترن الذكاء بالجمال وأصبح الرجل الجميل ذكيا أيضا

ولكن النجاح أو التفوق يحتاج الى أخلاق متينة . ونقول متينه لكى لا يتوهم أحد اننا

نعني أنها سامية . فان السمو كلمة تحتمل معاني مختلفة . أما المتانة فتقتضى الاستقامة والمثابرة والجلد وهذه كلها صفة الرجل الذكى الناجح بل الذكاء الحسن يقتضى الاخلاق الحسنة . ولا عبرة بالشذوذات . فان الرجل الذكي يعرف أن الجلد شرط لازم للنجاح وأعصابه السليمة تتحمل هذا الجلد فلا يرهقها . ولكن الرجل البليد لا يتحمل الجلد الذي ينهك أعصابه ولا هو يدرى قيمته

والمشاهد فى جميع الاسر انها حين تتصاهر تطلب الكفاءة فى المقام الاول . وهذه الكفاءة تجر وراءها الذكاء والجمال وتجمع الصفات الثلاث فى النسل

وسنرى بعد أسبابا أخرى تجعل الاخلاق تابعة للجمال

***

وهنا اسمع اعتراضا آخر وهو أن الانسان كثيراً ما يتزوج فتاة دونه فى المقام ـ وهى حسب فرضنا تختلف منه ذكاء وجمالا ـ ومع ذلك يخرج النسل جميلا ذكيا

ولكن لا . فأن النسل هنا لا يخرج جميلا ذكيا . ويكفى أن نذكر هنا حادثا عاما أصاب المصريين والاغريق والرومان والعرب . وهو أنهم حين عرفوا الجوارى والتسرى وخلطوا دماءهم بدماء الاغراب المنحطين انحطوا هم أيضا ولم يعودوا مصريين وعربا ورومانا واغريقا بل عادوا بهذا التسرى خليطا هجينا سيء الاخلاق ـ اجل وسيء الجمال ـ وهذه هى الهجنة التى أصابت هذه الامم والتى كانت سببا لانحطاطها الى جنب العوامل الاقتصادية التى لا تنكر ، هذه الهجنة نفسها تحدث من وقت لآخر بين الافراد حين يتزوج العظيم فتاة من أسرة منحطة . او تتزوج المرأة العظيمة رجلا منحطا دميم الوجه . هذه هى الهجنة هى التى يحاربها الآن البيض فى الولايات المتحدة حين يسنون القوانين لمنع الزواج بين البيض والزنوج ومثل هذا القانون يعمل به أيضا فى اتحاد أفريقيا الجنوبية . وقد بالغت ألمانيا فى الاحتراس من هذه الهجنة بقوانين جديدة نعرفها جميعا . وقد كان العرب يخشون الهجنة ولكنهم لم يدركوا أن للأم السيئة قيمة فى التهجين لا تقل عن قيمة الاب السيء . ولذلك لم يبالوا التسرى الذى كان سببا لانحطاطهم

ولكن يجب أن لا نتطوح . فان موضوعنا هو أن الجمال يجتمع الى الذكاء والاخلاق .

وأننا متى وجدنا صفة واحدة من هذه الصفات الثلاث وجدنا الصفتين الاخريين . وقد عللنا هذا الاجتماع بان الرجل الذكي متين الاخلاق كان يتفوق ويختار أجمل النساء ليكن زوجاته . فينشأ النسل وهو يجمع الصفات الثلاث

ولكن هنالك تعليلات أخرى . مثال ذلك أن الجسم الصحيح يحتاج الى غدد صماء صحيحة تؤدي واجبها على أحسن وجه كما يحتاج الى أعضاء سليمة أخري . وهذه الغدد الصماء التي تفرز سوائلها في الدم هي التي تكسبنا القامة الطويلة أو القصيرة والوجه المعروق أو المكلثم وهي التي تمسح على الوجه مسحة الجمال أو الدمامة . وهذه الغدد نفسها هي التي تؤثر في ذكائنا وأخلاقنا فتكسبنا البلادة والخمول أو اليقظة والتنبه

وهي التي تقرر لنا الشجاعة أو الجبن . وهي التي تؤثر في تفاؤلنا أو تشاؤمنا وتقرر لنا النجاح أو الخيبة

وحين نقول هذا الكلام لا نتجاهل الوسط وتأثيره في تربية الاخلاق كما أننا لم نتجاهل العوامل الاقتصادية في انحطاط الامم ولكن خلف الوسط والاقتصاديات اجساما فيها نشاط وذكاء أو فيها بلادة وخمولا . وكل هذا يستحق الاعتبار

ولنضرب بعض الامثلة . فهناك مرض يصيب الاطفال ويسمى النفاشية « كريتنزم » وهو ينشأ من أن الغدة الدرقية التي في العنق لا تؤدي مهمتها على الوجه الكامل فيتكتل الطفل وتنساح ملامح وجهه ويقف عن النمو وتعلوه الغباوة . فهو دميم الوجه بليد الذهن . فاذا غذي بخلاصة هذه الغدة (الصماء) عاد اليه نموه واعتدلت ملامحه وارتد اليه ذكاؤه . وهنا إذن برهان على اشتراك الذكاء بالجمال

ومثال آخر : انظر إلى طفل اكسح تجد أنه دميم متخلف في نمو الذهن والجسم فاذا أعطي الغذاء الحسن (زيت سمك الكود) عاد نموه واسترد وجهه رواءه وذهنه ذكاءه . واختباراتنا جميعا تدل على أن الوجه المشوه هو البرهان على الذهن المشوه وهذا واضح على أقصاه في البلاهة المغولية التي سبق أن اشرنا اليها وهي تتضح بدرجات متفاوتة حين يعتل الجسم لنقص في الغدد الصماء او في غيرها من الاعضاء التي نقص غذاؤها . واختباراتنا ايضا تدل على ان جمال الوجه هو البرهان على ذكاء الذهن . وهذا نراه على اقصاه في الرجل العبقري الذي لا تستطيع ان تشك في جماله

بشرط اننا نفهم معنى الجمال ولا تنخدع بمقاييس مخطأه

* * *

نظن اننا الآن نسلم باجتماع الجمال مع الذكاء بل باجتماعهما ايضا مع صحة الجسم . ولكن كيف يجتمعان مع الاخلاق الحسنة

يمكننا أن نستنتج ذلك أولا من الحقيقة البارزة وهى أن الرجل الذكى لا يرضيه أن يلجأ إلى ارتكاب الجرائم لكى ينجح فان ذكاءه يمنعه من تحقيق النجاح بالسرقة أو الاغتصاب أو النصب وهو يملك أعصابه اذ هو سليم الصحة لا يندفع وليست له بدوات شهوانية اجرامية . وله من ذكائه أساليب وحيل مشروعة للعيش لا تضطره الى أن يسفل ويجرم

وهنا لا أنفى أن للاجرام أصلا اقتصاديا لا ينكر . ولكن نظرة عامه الى وجوه المجرمين تدلنا على أن تشوه النفس يرافقه تشوه الوجه . ولا عبرة بالشذوذ . وهذا التشوه الذى نجده فى السجن نجد مثله أيضا فى المارستان ؟

ونحن حين نذكر « متانة الاخلاق » ماذا نعنى بهذا الكلام ؟ ألسنا نعنى أعصابا باسليمه تتحمل الضنك والضيق وهى ثابته لا تتزعزع ؟ وماذا فى هذا المعنى سوى أن الرجل المتين الاخلاق انما هو الرجل السليم الجسم ؟ ومتى كانت هناك سلامه فى الجسم فهناك سلامه فى الذهن . فهنا ثالوث لا ينفصل : الجمال والاخلاق والذكاء

* * *

وما هى عبرة هذه الاستنتاجات ؟

عبرتها انه يجب على كل شاب أن أن يختار لزواجه أجمل فتاة لانه وهو ينشد الجمال يضمن لنفسه حصول النسل على الاخلاق والذكاء . وأحسن ما يكفل له ذلك ألا يخرج عن طبقته فلا يختار زوجته من طبقه أدون من طبقته لانه ان فعل ذلك فقد وقع في الهجنه . كما أنه يجب ألا يتزوج أحدا من غير سلالته البيولوجية التى تنتمى اليها أمته . لانه ان فعل ذلك فقد وقع أيضا في الهجنة التى وقعت فيها الامم القارة حين أخذت بالتسرى وصار نسلها خليطا من نحو ثلاث أو أربع سلالات مختلفة . ولسنا هنا ننعى النقص أو العيب على بعض السلالات . فان لكل سلالة

صفاتها الحسنة التي تكونت على مدي القرون وأصبحت فيها هذه كالعبقرية لأنها نشأت بما يشبه التوالد الداخلى فصارت الصفة تحتد حتى تبلغ حد المبالغة . وهذه عبقرية . فاذا اختلطت سلالة باخرى انساحت الصفات وذهبت عنها المبالغه فتعود البلاهة مكان العبقرية

فنحن المصريين لنا صفات ورثناها فى عشرات الالوف من السنين الماضيـة وهي تتأكد فينا بالزواج بين افرادنا وهذا التأكد هو مبالغة وهو عبقرية فاذا تزوجنا أجنبية من غير سلالتنا انساحت هذه الصفات وذهب عنها تأكدها ومبالغتها وعبقريتها . وليس هذا الكلام طعنا فى السلالة الاجنبية فان الجواد السباق سلالة عبقرية فى العدو والحصان الجر سلالة عبقرية أيضا فى جر الاثقال ولكن النتاج الحاصل بتلاقحها هو نتاج سيء لايليق للجر ولا للعدو لانه هجينا وليس اصيلا

ولذلك احسن امرأة يتزوجها المصرى لمصلحة نسله هى المرأة المصرية ولكن يجب الاختيار الحسن ويجب العناية بالاصل ونعنى الاصل البيولوجى وكذلك الاصل الاجتماعي لان الثانى هو ثمرة الاول . فان الاسرة لاتبلغ مركزاً اجتماعيا حسنا الا لان فيها صفات بيولوجية حسنة هى صفات الجمال والذكاء والاخلاق مجموعة . وانت عند ما تطلب الجمال ثق انك تطلب ايضا الذكاء والاخلاق



اخناتون والايمان باله واحد

مهما تعددت الآلهة يأبى الذهن المثقف الذى درب على التمحيص والمنطق إلا أن يؤمن باله واحد . ولذلك نجد للتوحيد مقاما حتى عند الامم الوثنية القديمة أو الحديثة مثل اليونان أو الرومان أو الهند . وذلك انه مهما آمن العامة بعشرات من الآلهة فان المثقف من الخاصة ينتهى من هذا الشعور إلى التوحيد . وهذا هو ما يجب أن نفرضه فى مصر . بل عندنا أكثر من الفرض فالنصوص القديمة تثبت أنه حتى فى عصر الدول القديمة أى فى عصر الاهرام كان رع يوصف بأنه « لا حد له »

ومتى وضع مثل هذا الوصف لأحد الآلهة فانه يجعل سلطانه غير محدود ويجعل قيام الآلهة الاخرى بجنبه غير لازم . وهنا ان لم نجد توحيدا تاما نجد بزرة التوحيد . وفى « رع » ما كان يرشحه فى أذهان أسلافنا للسيادة والسلطان على سائر الآلهة ثم الاستئثار دونها بهما فانه يمثل الشمس أو الشمس تمثله . وهذه الشمس نري كل يوم وهى تقطع السما. من الشرق إلى الغرب ثم تعود فى صباح اليوم التالى فيكون منها نور ودفء يحيى النبات والحيوان . فكأن رع يملك الكون ويبعث الحياة

ولكن طبقات الكهنة التى كانت تعيش وتثرى بتعدد الآلهة ووفرة الاصنام حالت دون التوحيد لانها وجدت أن عيشها يتوقف على أن تقدم للعامة ما تطلبه من الآلهة والاصنام التى تحاط بشعائر مختلفة وتستخدم للشفاعة فى القرية الصغيرة أو المدينة الكبيرة . ونحن نعرف فى عصرنا الحاضر أن للولى أو القديس المحلى فى القرية مقاما كبيراً . وقد كان تعدد الآلهة يقوم عند أسلافنا مقام تعدد الاولياء أو القديسين فى عصرنا فكان يحول دون التوحيد

ثم كان هناك سبب آخر يجعل التوحيد بعيدا عن أذهان العامة . وهو ان آلهة مصر كانت مصرية أى لم تكن عالمية . وكانت مهمة الآله أن « يحرس الحدود » كأن ما خرج عن مصر قد خرج أيضا عن سلطانه . ولكنا حوالى سنة ١٤٠٠ قبل الميلاد نجد عاملين مهمين يجعلان مصر أو الخاصة فيها ترضى بالتوحيد

الاول : ان الهكسوس كانوا شعبا ساميا قد أقاموا فى مصر بضعه قرون . وكانوا مثل جميع الساميين البدو يتعلقون بالتوحيد أو على الاقل يكرهون الاصنام

والثاني : ان مصر أصبحت امبراطورية تحكم العالم كله المعروف فى ذلك العصر . وأصبحت آلهتها أيضا امبراطورية فلم يعد المصرى يقصر سلطان آلهته على مصر بل يبسطه على العالم كله

وأجدر الآلهة بهذا السلطان هو رع الذى يضىء الكون كله ويبعث الحياة فى النبات والحيوان . ولذلك نجد حوالى سنة ١٤٠٠ قبل الميلاد ، ان الرب المتسلط على مصر هو آمون (الذى يرى قرنه على رأس الاسكندر) قد اندغم فى رع وأصبح آمون رع . وقد كان هذان الالهان فى صراع . الاول آمون يمثل الديانة التى يعيش منها كهنة طيبة . والثاني رع يمثل الديانة التى يعيش منها كهنة أون أى عين شمس . واندغامهما محاولة أولى للتوحيد أو هى تسوية بين الوثنية والتوحيد تدل على أن الخاصة فى مصر كانت كارهة للتعدد

* * *

ولكن التوحيد فى مصر يقرن باسم اخناتون الذى تولى عرش مصر سنة ١٣٧٥ ومات سنة ١٣٥٨ ق . م .

واخناتون هو مثال العبقري الذى تتركز فى نفسه روح العصر ثم تزدهر وكأنها تنفجر . فانه دعا الى التوحيد خالصا من جميع الملابسات الوثنية حتى انه غير اسم رع الى اسم أتون . وهو أحد أسماء رع القديمة التى لم تكن مألوفة فى عصره . ثم هدم الاصنام وألغى الآلهة المتعددة حتى ان لفظة « أرباب » أو « آلهة » لم تجر على لسانه ولم تذكر فى تراتيله لانه أراد أن يخلص الدين الجديد من كل مايوهم التعدد . وغير اسمه من أمينحوتب المشتق من « آمون » الى اخناتون المشتق من « أتون »

وحاول تعميم هذا الدين الجديد فى طيبة عاصمة القطر فلم يفلح لان العامة كانت بالطبع تسير وراء الكهنة وتتعلق بآلهتها المختلفة التى نشأت عليها وعقدت ولاءها بها . ولم يكن اخناتون ينزع الى البطش فيقتل الكهنة ويستبد بالدين الجديد . فانه كان مثال الحنان والرأفة . وهذا فضلا عن أن الفراعنة قبله وبعده لم يعرفوا البطش بالامة أو بالافراد

ولذلك عمد أخناتون الى انشاء عاصمة جديدة فى منتصف الطريق بين طيبة والبحر أطلق عليها اسم « أخيتاتون » حيث يستطيع عبادة الهه فى مكان بعيد عن الاصنام التى كانت تحتشد بها طيبة . وحيث لايجد من الكهنة مقاومة ودسائس تشغل باله وتعوق دعايته للتوحيد . وهو هنا

مثل قسطنطين الذى ترك رومه وأسس عاصمة أخرى على البسفور حين استقر عزمه على تعميم المسيحية بدلا من الوثنية الرومانية

* * *

وهذا الدين الجديد الذي دعا اليه اخناتون هو خلاصة الاخلاق المصريه التى كان قد مضى عليها نحو ٢٠٠٠ سنه منذ اتحاد المملكة وهى تسير فى تطور ورقي . ويمكن أن نلخص مبادىء هذا الدين فيما يلى :

١ — أن قرص الشمس ليس هو المعبود بالذات وانما هو رمز للتوحيد والقوة الالهية

٢ — ان التوحيد لايحتمل الشك . فان لفظة أرباب أو آلهة لم تذكر قط فى صلواته وهو يصف ربه بقوله : « أيها الرب اتون الحي الذى لاشريك له . ايها المنفرد بالقوة والمجد »

٣ — ان الحب والرأفه هما الاخلاق السائدة فى الدين الجديد حتى انه لم يذكر « جهنم » مع أنها كانت معروفة فى مصر فى ذلك الوقت . وحتى انه رفض ان يقاتل الحيثيين الذين كانوا يغيرون على ممتلكات مصر فى سوريا . وذلك حبا للسلام وكراهة للقسوة والدماء

٤ — انه يؤكد الحياة بدلا من الموت . والحب بدلا من الخوف . فهو يذكر مثلا زوجته نفرتيتي (وتمثالها الجميل هو الان فى برلين) بقوله « نفرتيتي مصدر سعادتي كلما سمعت صوتها الحلو طربت وابتهجت نفسى . هى سيدة الظرف والرقة . قلبها يفيض حبا وحنانا . ووجهها مشرق جميل » وليس هذا الوصف لمعشوقته بل لزوجته

وقد كان للموت شأن كبير فى الديانه المصرية السابقة وكما يدل على ذلك كتاب الموتي والتحنيط والاهرام والقبور . ولكن اخناتون التفت للحياة وجعلها نعمة أتون للبشر التى يستحق عليها الحمد ولم يلتفت الى الموت

* * *

والآن ماهي النتائج التى اثمرها هذا الدين الجديد :

كانت النتيجة الاولى أسوأ النتائج . فان الحيثيين كانوا أمة جديدة فتية تغير على الممتلكات المصرية فيستغيث حكامها المصريون باخناتون فيرفض الحرب لانه أراد أن يعمل بمبادئه التى يدعو اليها أى مبادىء السلم والحب

أما النتيجة الثانية لتطبيق هذه المبادىء فكانت حسنة فان اخناتون أو الذين شربوا مبادىء النهضة الدينية الجديدة أخذوا يعملون بها في الفنون . فانطوت ثورتهم على التعدد فى الالهة على ثوره أخرى على تقاليد الرسم والنحت . فان هذه التقاليد كانت قد ضيقت القواعد حتى أخرجت الفن عن غايته وجعلته عرفا دينيا يحفظ بلا نظر الى مطابقة الرسم أو النحت للاصل . وفى عصر أخناتون عاد الرسم والنحت الى محاكاة الطبيعة

وقد مات الدين الجديد بموت أخناتون وعادت الأمة الى عبادة امون وعاد الكهنة الى سلطانهم بل أصبح اخناتون لايذكر الا بوصف انه « مجرم اخيتاتون » ولكن الدين الذى ارتقى بالمصرى الى أن يكون بشريا قبل أن يكون مصريا لم يمت . فان أخناتون كان يصف ربه بقوله :

« أنت أوجدت سوريا والنوبة ومصر . وجعلت نيلا فى السماء من أجل الغرباء » وهو يعنى هنا المطر . وهو يثبت هنا أن الاله لايؤثر مصر على غيرها من الامم . وليست مهمته حراسة الحدود المصرية . وهذا رقى عظيم فى التفكير الدينى . وهو اذا كانت مصر قد حرمت منه اسيطرة كهنة أمون ، فان شعوب اسيا لم تحرم منه

ويمكن المؤرخ أن يتساءل : ماذا كان يكون مصير مصر لو أن أخناتون لم يمت وهو فى الثلاثين من عمره ؟ وهل كان يمكن كهنة طيبة ان يعودوا الى سلطانهم السابق لو انه عاش الى الستين أو السبعين ؟ ثم ماذا كان يحدث أيضا لو أن وارثه على العرش لم يكن الصبى توتنخ أمون زوج ابنته الذى اغراه الكهنة وأغووه على الارتداد ؟



فاطمة — للرسام محمود سعيد



فتاتان

للرسام باير



باليمين — النظام عثمان على خان أمير حيدر أباد



باليسار — الأميرة درة شهوار ابنة السلطان
عبد المجيد الثانى سلطان تركيا السابق
وزوجة ولى العهد فى حيدر أباد ومعها
ابنها منه



خطاط فى حيدر أباد يكتب الخط العربى



سيدة مسلمة فى حيدر أباد وهى كاسية بالبردة
من الرأس الى القدم

نظام حيدر اباد

للاستاذ فتح الله اطاكى

نظام حيدر اباد هو أعظم أمراء الهند قاطبة من هندوكيين ومسلمين وهو من سلالة نواب آصف جاه بهادر وقد كان فى زمن المغول جنرالا وقائداً عاما لمدينة أورانجازب وفى عام ١٧١٣عين آصف جاه نائبا للملك فى حيدر اباد وكان يلقب بلقب نظام الملك . وفى عام ١٧٢٤ خرج على امبراطور المغول ونادى باستقلال بلاده وما زالت السلطنة فى حكم تلك الاسرة إلى يومنا هذا

ويحكم النظام بلاده بمعاونة رجال حكومته وبعضهم من أهل الامارة تلقوا علومهم فى كليات انكلترا الشهيرة والبعض من رجال الهند البريطانية . ورئيس الوزراء هندوكي اسمه المهراجا سر كشن رشاد وبقية الوزراء وعددهم سبعة . ستة منهم من المسلمين والسابع هندوكى . وأعظم الوزراء متانة ونفوذا لدى الانكليز والنظام هو السر أكبر حيدرى وزير المالية وهو رجل الساعة اليوم فى تلك الامارة

ويتناول النظام من خزانة الحكومة مرتبا سنويا قدره أربع مئة الف جنيه انكليزي ويبلغ ريعه السنوى من ممتلكاته الخصوصية مليونا ونصف مليون جنيه وتقدر ثروته النقدية بمئة مليون جنيه وهو شديد التواضع ولا يستعمل من الاتوموبيلات إلا الفورد ويدخر أمواله الطائلة فى خزائنه الحديدية وفى البنوك الاجنبية

ويبلغ ريع حكومته سنويا سبعة ملايين ونصف مليون جنيه انكليزى وفى خزانة وزارة المالية سبعة ملايين جنيه احتياطى ويدير المالية رجل مالى كبير كفء يخدم بلاده باخلاص

والنظام مسلم حنفى شديد التمسك بدينه وتلك المزية جعلته محبوبا عند جميع المسلمين فى الامبراطورية الهندية

وهو شديد البر بوالدته يزورها يوميا فى قصرها الخاص من الساعة الرابعة الى الساعة الخامسة مساء ويقبل يدها ويطلب بركتها ورضاها

والنظام يحترم رجال الدين احتراما عظيما ويقابلهم قائما ويطلب دعواتهم ويودعهم الى باب قصره

الخارجي وينفحهم الهدايا والهبات الوافرة ولهؤلاء نفوذ كبير فى تلك البلاد

ويحكم النظام اليوم سلطنة واسعة يزيد عدد سكانها حسب الاحصاء الاخير على أربعة عشر مليونا من النفوس خمسة عشر فى المئة منهم من المسلمين والبقية من الهندوكيين

وللانكليز أو بالاحرى لنائب الملك ممثل فى حيدر أباد اسمه المستر ما كينزى ولا تستطيع الحكومة أن تنفذ اى مشروع كان بدون موافقته بل لا يستطيع النظام السفر من مكان لمكان بدون علم ممثل نائب الملك واسمه المقيم البريطاني وهو رجل حازم وسياسي ماهر

وقد جعلت حكومة دلهى مدينة اسكندر أباد وهي من ممتلكات النظام معسكراً بريطانيا فيه قوة حربية عظيمة وقائد انكليزى عام وتبعد عن العاصمة عشر دقائق بالاتومبيل

وأعظم معهد علمى هو الجامعة العثمانية وفيها أكثر من عشرة آلاف طالب وتنفق عليها وزارة المعارف المبالغ الكثيرة وقد عين لها مدير انكليزى ونائب مدير هندي مسلم وفيها كليات الطب والحقوق وغيرها ... وفيها قسم خاص لتعليم الفتيات

وفى حيدر آباد جماعة من أغنياء الهند . واعظمهم راجا هندوكى اسمه راجا دارانجير يبلغ ريعه السنوى ست مئة الف جنيه . ويليه نواب معين الدولة من المسلمين ويبلغ ريعه السنوى ربع مليون جنيه انكليزى

والنقود فى بلاد النظام عليها صورة النظام وهى عبارة عن روبية نظامية وأوراق بنكنوت نظامية وجنيهات ذهب نظامية . وطوابع البريد فى داخل سلطنته نظامية ويعود ربحها لحكومته وكذلك سكك الحديد والتلغرافات

الحياة الجنسية

للاستاذ بشري الضبع

— ١ —

الموضوع الذى ندرسه الآن ، عسير جدا ان نحيط به من نواحيه المتعددة فى مقال قصير . ولو حاولت أن اتوخى الدقة والاحاطة لاحتجت الى كتابة مجلد كبير حتى اوفيه حقه

وسأحاول أن أثير الاذهان واحركها للدرس والتحقيق اكثر من أن اعطى صورة واضحة شاملة للموضوع

وفى هذا البحث لن اتخذ موقفا خاصا ، أعنى أننى سأكون موضوعيا جهد الطاقة ، سأقتصر على تقرير الحقائق واثبات مايراه السيكولوجيون فيها ، حتى لا اتهم بانى اتجه اتجاها خاصا او أدعو الى فكرة معينة . ذلك لاننا نعيش فى بيئة جامدة استنفدت السياسة والمواضيع الانشائية نشاط الكتاب كلهم الا نفرا قليلا ، فلم يعد لهم من الوقت ما يخصون لدرس هذه المسائل الهامة . والى هذا تيار رجعى ممقوت يقف بين هؤلاء الكتاب وبين بحث الامور التى تحتاج الى فكر حر طليق

— ٢ —

قد يتبادر الى ذهن بعض الناس اننى أبالغ واتعنت اذ أتناول مثل هذا الموضوع . وهؤلاء قد غاب عن أذهانهم من غير شك ما للجنس من شأن فى تكييف حياة الشعوب . اذ ان صحة الجسم والاعصاب تتأثر الى حد كبير بالنظام الذى يسير عليه الانسان فى حياته الجنسية . وعلى سلامة الجسم والاعصاب تقوم الحضارات . وفى هذا يقول الدكتور الكسيس كاريل فى كتابه « الانسان هذا المجهول » انمقاومة المرض والعمل والقلق والاضطراب ، والقدرة على تحمل الجهد ، والتوازن العصبي ، كل هذه الاشياء تميز الانسان الراق . وهذه هى الصفات التى كان يتفرد بها مؤسسو الحضارة فى الولايات المتحدة وكذلك فى أوربا . وانه ليعزى تفوق الشعوب البيضاء الى كمال جهازهم العصبي ، هذا الجهاز ـ وان كان رقيقا سهل التهييج ـ الا انه من الممكن تنظيمه » فاذا عرفنا

ان الجهاز العصبي ستتوقف سلامته الى حد كبير على تنظيم الحياة الجنسية أمكننا حينئذ أن ندرك خطورة هذا الموضوع

— ٣ —

ليس هناك شك فى أن القاضى لندسى السيكلوجى الاجتماعى المعروف كان بعيد النظر الى حد كبير حين قال : اننا اذا غيرنا التشريع الجنسى أى القوانين التى تمس العلاقات الجنسية بين الناس فانما نغير الاتجاه الاجتماعى كله . وان للصلات الجنسية من الاهمية فى تقرير مصير المجتمع وطبعه بطابع خاص ما للصلات الاقتصادية ، بل ان هذه الصلات نفسها قد تتأثر رغم مالها من قوة بالصلات الجنسية

وهناك كاتب آخر اسمه أنوين ، وهو ان لم يكن معروفا مثل لندسى الا أن اراءه لها قيمتها الخاصة ، قال بالتفسير الجنسى للتاريخ . فقد لاحظ هذا الكاتب فى أبحاثه فى الامم المتمدينة والهمجية أن الخط البيانى للثقافة كان يرتفع حين يقتصد الناس فى علاقاتهم الجنسية ويؤثرون نظام الزوجة الواحدة . وأن الانحلال كان يصيب الامم التى تمعن فى ممارسة علاقاتها الجنسية وتستبيح لنفسها الاستهتار . وهذا القول مضلل فى ظاهرة اذا نحن تركناه من غير مناقشة . فقد نجح صاحبه فى توجيه النظر الى التفسير الجنسى للتاريخ وما للعلاقات الجنسية من أثر فى تقرير الطابع الاجتماعى للشعوب ولكنه خلط فى بحثه بين الجنس والشهوة الحيوانية . فالجنس شيء والشهوة الحيوانية شيء آخر . والشهوة الحيوانية او النهم على وجه أعم صفة عامة وليست خاصة بالجنس . فالمرابى عنده ما يسمى بشهوة المال . وفى السكير نجد شهوة الخمر . وفى هذه الحال يتبع الانسان حاجاته البيولوجية الاولى

ولكن الانسان ليس كائنا بيولوجيا فحسب وانما هو كل منسجم نشوئى فيه عوامل شتى تتوفر كلها على خدمة ما يسمى بالجوهر الكامل فى الانسان أو ما يسميه يونج بالنفس البيولوجية التى يسميها برجسون بالدافع الحى . وواضح أنه ليس من العدل ان نقيس الانسان الحاضر المثقف لدى بدأت تثبت فيه الميول الاجتماعية بالانسان القديم

ووأضح أيضا أن انحلال الامبراطورية الرومانية لم يكن سببه ممارسة الناس للجنس فى حرية وطلاقة وانما كان سببه النهم والحيوانية

— ٤ —

يتميز الدافع الجنسى فى الانسان والحيوان القريب من مرتبته باستقلاله بنفسه وانفصاله عن

غايته الاولى ووظيفته الاصلية ، التناسل

والذى دفع الناس الى ادراك هـذه الحقيقة فى شكل ظاهر ملموس بواعث مختلفة بعيـدة يمكننا أن نلخصها فيما يأتى .

١ .. النهضة العلمية التى قدست المادة

٢ ـ الانقلاب الصناعى الذى أخرج المرأة من عزلتها ودفعها الى الحياة العملية

٣ ـ الحرب الكبرى

٤ ـ أبحاث علماء السيكولوجية أو التحليل السيكلوجي كفرويد وهافلوك اليس وتأثر كثير من الكتاب والمفكرين بهذه الابحاث كلورنس وجويس وريمى ده جورمون والقاضى لندسى والكاتب الاجتماعى شمالهوش

٥ ـ دراسات علماء الانتروبولوجيا « علم الانسان » للشعوب الهمجية كالعلامة مالينوفسكى وكراولى وبريفولت وويستر مارك . فقد تأثر جمهور كبير من الكتاب بأبحاث هؤلاء العلماء إلى حد أن دعوا إلى اصطناع الحياة الجنسية التى يحياها المتوحشون ، فهم كما قال بعض كتابهم المشهورين يمتازون عنا فى فنون الحب لانهم يحيون هـذه الحياة البدائية حيث الفطرة عارية لا تكلف فيها ولا رياء

فى الكائنات الحية الدنيا نجد الدافع الجنسى مرتبطا ارتباطا وثيقا بالتناسل أى حفظ النوع ولهذا نجد هـذه الكائنات تتحرك فيها الرغبات الجنسية فى فصول معينة من فصول السنة هى فى الغالب الربيع أو الصيف . وفى هذا الفصل الذى يسمى فصل الحب نجد الرغبة الجنسية قد بلغت القمة فى العنف والاشتداد . اما الانسان فالرغبة الجنسية فيه دائمة مستمرة أيام السنة كلها ، إلا بقية فطرية نجـدها فى المرأة قبيل الطمث . فحوالى هـذا الوقت نجد الرغبة الجنسية عندها قد بلغت القمة

وليس عجيبا أن يصبح الدافع الجنسى فى الانسان غاية فى ذاته منفصلا عن وظيفته الاولى ، وغايته من التناسل . فالانسان استقل عن جده الحيوان فى كثير من الاشياء رغم احتفاظه بهذه الميول الاولية التى تنم عن تراثه القديم . فالانسان ليس اكلا وجنسا فحسب أى ليس حيا فسيولوجيا فقط . وإنما هو مزاج من الفسيولوجيا والنفس . وهو إلى مطالبه الاولية من حفظ النوع والذات له حاجات انسانية ومطالب روحية . فالطفل الذى يلتذ ويسر حينما تقدم له أمه الطعام والفراش الدافىء اللين نراه قد استحال إلى رجل يلذ ويطرب حينما يرى مقالته نشرت فى جريدة . ومعنى هذا أن الشخصية امتدت واتسعت وتطورت . وإلى هذا الخطأ فى فهم الشخصية الانسانية تعزى دعوة

بعض الكتاب الخاطئة إلى الاستهتار . فهم يعتمدون على هذه الطبيعة البيولوجية فى الانسان ، هذه الطبيعة التى تميزه باستمرار الرغبة الجنسية فيه أيام السنة كلها ، ويقولون أن هذه الطبيعة تضعف الرغبة الجنسية فيه وتجعله فى حاجة إلى تغيير المنبه ، أي فى حاجة بيولوجية إلى الانتقال من امرأة إلى أخرى . ومن هنا الزعم بان طبيعة الانسان إباحية أي أن الاباحية أصيلة فى الانسان وأن الانسان إباحى بالطبع . ويضيفون إلى هذا أن استمرار الانسان فى وسط واحد يضعف فى نفسه الرغبة . كما ان دقات الساعة المزعجة قد تثير أعصاب الانسان أول الامر ، ولكنه لايلبث حتى ينسى وجودها . والاستاذ « فلوجل » يؤكد هذا القول فى نفس اللهجة فيقول : كثير منا يعجب إعجابا مستمراً بنفس المنظر الريفى ويلتذ نفس المشروبات والسجاير والوان الطعام . ولكن من المحتمل من ناحية أخري أن يرد على هذا باننا نسأم حين يتكرر على مسامعنا لحن موسيقى أو قصيدة شعرية ولو كانا من الفن الخالد ونطلب سماع شيء جديد . ثم يضيف إلى هذا بواعث سيكلوجية أخرى تلخص فيما يأتى .

أولا مركب النقص . فهذا المركب يجعل صاحبه يتجه إلى واحد من هذين الاتجاهين . فهو إما أن يدفعه إلى البحث عن رفيقة تتوافر فيها الصفات العليا التى يتمنى أن تتوافر فى نفسه وإما أن يدفعه إلى خوض مغامرات مستمرة بها تستحيل قلوب الفتيات إلى ميادين فوز ونصر له . والتاريخ يحدثنا كثيراً عن أمثال هؤلاء الابطال فى ميدان الحب

ثانيا مركب أوديب . فهذا المركب يحيل صاحبه إلى مخلوق جنسى عاجز لاتتنبه فيه الرغبة الجنسية حين يحاول الاتصال بزوجته . ذلك لانها تشبه أمه إلى درجة تثير فيه العواطف المكبوتة التى كان يشعر بها نحو أمه . فيضطر لهذا إلى ممارسة العلاقة الجنسية بعيداً عن زوجته عند امرأة أجنبية . أو قد يدفع امرأته إلى أحضان الدعارة حتى يوهم نفسه أنها غريبة عنه

وهذا النظر الجنسى هدام عقيم . فالانسان كما قلنا مزاج من عناصر وميول مختلفة فيها البدائى الوضيع وفيها الانسان الرفيع . والشخصية المتزنة هى التى تمزج بين هذه الميول المختلفة فتنسجم فيها هذه العناصر المتباينة وتتوحد فى صعيد واحد نحو غاية واحدة هى الوجود الاسمى للانسان كشخصية متممة ، ككائن يعيش فى مجتمع تنبعث فى نفسه ميول اجتماعية . ومن هنا يمكن أن يعود الجنس قوة وكسبا لاضعفا وفقدانا . فالرجل الذى يمارس وظيفته الجنسية إنما يفعل ذلك ليستكمل عناصر الرجولة والانتاج الخصب فى نفسه . والمرأة التى تمارس الجنس انما تستكمل عناصر الانوثة والشخصية فى نفسها

والواقع إن الجنس على حقيقته يكاد يكون أمرا غير معروف . بالرغم من أنه من صميم الحياة

وبالرغم من أنه عنصر تكويني بنائي فعال الا نه لا يعرف في غالب الأمر إلا من ناحيتين متقابلتين كلتاهما شر . فهو إما شر لابد منه وعمل رجس من أعمال الشيطان . واما شهوة حيوانية يؤديها الانسان كغرض مشروع . ويتساءل د. ه . لورانس عن الجنس ما هو !

وبعد أن يهاجم النظريات العلمية التي تقول عن الجنس أنه غريزة ، وشهوة كالشهوة إلى الطعام والشراب يقول : نحن لا ندرى على وجه التحقيق ماهو الجنس ولكنه لابد أن يكون شيئاً كالنار لانه دائماً يثير في أعصابنا مايشبه الدفء الوميض . وحينما ينتهي الوميض إلى إشراق خالص نحس بالجمال . هذا اللهب كائن كامن في أنفسنا مادام فينا فنحن أحياء . أما إذا انطفأ نوره فحينئذ نستحيل إلى جثث مسيخة

وفي الأساطير القديمة نجد هذا الدافع الجنسي قويا ملحوظا على وجهه الكامل . فهناك أسطورة هندية تقص علينا أن الرب تاوشتري حينما أراد أن يخلق المرأة رأى نفسه قد استنفد كل المواد الصلبة في خلق الرجل وأخيراً انتهى إلى هذا الحل . فقد أخذ استدارة القمر وتثنى النبات المتسلق والتصاق الحبلة واهتزاز العشب ولين العود وتفتح الزهر وخفة الأوراق وهندسة خرطوم الفيل ونظرات الغزال وتهافت النحل ومرح أشعة الشمس الطروب وتهاطل السحاب ، وتقلب الريح وحجلان الأرنب وخيلاء الطاووس ونعومة صوت الببغاء وصلابة الحديد وحلاوة الشهد وقساوة النمر وحرارة اللهب وبرودة الثلج وثرثرة الجاي وهدير الكوكيلا ورياء الكركي وإخلاص التشاكرواكا جمع كل هذه الأشياء ومزجها ثم صنع منها المرأة وقدمها للرجل . ولكن لم يمض أسبوع حتى عاد اليه وقال : ربي ، هذا المخلوق الذي قدمته لي جعل حياتي بؤسا . إنها تتكلم من غير انقطاع وتضايقني إلى حد لا يطاق ، لاتتركني لحظة وشأني . إنها في حاجة دائمة إلى عنايتي وملاحظتي لها تستغرق كل وقتي وتصيح لادنى شيء . إنها بليدة أبداً . ولهذا جئت لأردها اليك لأنني لا أطيق العيش معها . فاجابه تاوشتري : حسنا سأستردها منك . ولم يمض أسبوع آخر حتى عاد الرجل قائلا ربي ، لقد وجدت حياتي فارغة موحشة منذ أن رجعت لك هذا المخلوق . إني أذكر يوم كانت ترقص وتغني لي وتنظر إلي من طرف عينها . وتلعب معي وتناغيني وتلتصق بي . كان ضحكها موسيقا ومنظرها فتنة وملمسها ناعما . ألا تردها لي ؟ فاجابه تاوشتري لا بأس . ثم أعطاها له ثانية ولم يكد يمضي ثلاثة أيام حتى عاد الرجل وقال : ربي ، لست أدري ما الامر ولكني انتهيت إلى أنها شقاء لي اكثر من أن تكون سعادة . ولهذا أرجوك أن تستردها ثانية

حينئذ أجابه تاوشتري : اليك عني لا أريد أن أرى شيئا كهذا بعد الآن . أصلح الامر قدر ما تستطيع . ولكن الرجل قال : لكني لا أستطيع العيش معها فاجابه تاوشتري : وأيضا لا يمكنك

أن تعيش بدونها . ثم أدار له ظهره ومضى فى عمله

ـ ٥ ـ

فى سن الثانية عشرة أو الرابعة عشرة نجد هـذا الصبى الصغير الذى كان يذهب إلى المدرسة بقلب خلى طروب ووجه مشرق ، والذى كان يسرع إلى الطعام فى نهم ولذة ، ويذهب إلى أمه يطمئن إلى صدرها ويجاذبها أطراف الحديث فى حنين غامض وشوق مبهم . هذا الغلام الامرد هذا الصبى الحلى ، تراه قد استحال هيكله فـكبر واشتد وصوته الناعم قد اخشوشن وسحنته قد ارتسمت عليها أمرار غريبة هى مزاج من الامى والحنين الغامض . إن فى صدره فراغا غريبا ، انه ليحن إلى شيء مجهول . ما الامر ! لايدرى . يذهب إلى أمه فى تردد ووجل ويخاطب أباه بعينين منكسرتين ويمج اللعب مع الأولاد ويحب العزلة . يسأل نفسه ما الحياة ! ما الغاية منها ! كيف نشأت وما مصيرها ! ! إنه مشرف على عالم جديد ، إنه ذكر ، إنه ذكر وهى أنثى . وانها أنثى وهو ذكر ! كل منهما ينظر الى الآخر فى حنين وخوف . صوت الطبيعة يجذبهما كل نحو الآخر

والآن هانحن أمام مخلوق قد اشتعل فيه هذا اللهب المقدس فما هى المخارج التى يمكن أن يجد فيها متنفسا لهذا الدافع الحى

أمامنا الآن فى الحياة الواقعة وفى التاريخ مخارج كثيرة فلنستعرضها واحدة واحدة لنرى أيها أجدر بان يصل به الى تكوين شخصيته . نلخص هذه المخارج فيما يأتى

١ الحب الحر

٢ العادة السرية

٣ الشذوذ الجنسى بانواعه المختلفة

٤ الزواج الرفقى

٥ التبتل أو الاعتصام التام

٦ الزواج

فاما الحب الحر أى الاتصال الجنسى بلا زواج فقد ثبت بالاختبارات المتكررة فى جميع الأمم أنه ينتهى على الدوام بالخيبة . وان من يمارسه ينحط الى اشباع شهوات بهيمية تختلف ألوانها فى فوضى الغريزة الجنسية . وكذلك الحال فى العادة السرية التى تبدأ عملا طبيعيا لاغبار عليه ثم تنتهى إلى الضرر والخزى والانحطاط النفسى اذا لم يقلع عنها صاحبها عقب المراهقة . والشذوذ الجنسى انحراف بل انحرافات سيئة تدخل فى أمراض النفس ولاتعد من الصحة . أما الزواج الرفقى الذى

يقول به القاضي لندسي الامريكي فهو أشبه الأشياء بالمحالة الشرعية ـ اذا صح هذا التعبير ـ وهو الآن من النظريات والفروض . ويرى داعيته هذا القاضي أن الظروف الاقتصادية القائمة لاتسمح للشبان والفتيات بالزواج قبل سن الثلاثين . وهم اذا تزوجوا قبل هذه السن وقعوا فى ارتباكات مالية لعجزهم عن اقاتة أولادهم . ثم هم للنزق الذى يلازم الشباب يخطئون الاختيار فى الزواج فسرعان مايطلبون الطلاق . ويحمل الأولاد جرائر نزقهم . ولذلك يقترح زواجا قبل العشرين من العمر يشترط فيه على الزوجين ألا يتناسلا الى سن الثلاثين . وطول هذه المدة يمكن الطلاق بمجرد الطلب من أحد المتزوجين . أما بعد هذه السن فيجوز التناسل ولا يجوز الطلاق

أما التبتل أو الاعتصام التام فهو رهبانية مدنية وهو ضرر لاتخالطه أية منفعة للفرد أو للجماعة

فلم يبق اذن غير الزواج الذى يجد فيه كل من الفتاة والفتى وسيلة لتنشئته الشخصية . هذا اذا قام على أساس التفاهم الذهنى والحب المتبادل لانه يعود عندئذ صداقة ذهنية جنسية . ولكنه للاسف ليس كذلك الآن فى كثير من الحالات . فان الجهل بضبط التناسل والعجز عن إقاتة الأولاد والاغراء المالى لأحد الزوجين وتأجيل الزواج إلى ما بعد الثلاثين وأحيانا الاربعين من العمر كل هذه عوامل تجعل الزواج لايؤدى الغاية المقصودة منه وهى تنشئة الشخصية والسعادة بالحب المتبادل



في الادب الانجليزي

القناع الملون

قصة ملخصة عن سومرست موجام
وتلخيص الاستاذ أحمد صادق اسماعيل

فاذا كنا في مستهل رواية « القناع الملون » التي نحن بصددها ، فنحن في مدينة تشنج ين من أعمال الصين ، الخاضعة للنفوذ الانجليزي ، وفي أحد الاحياء الاوربية منهـا ، وفي أحد الفيلات ، المنتشرة بها ، نسمع صرخة مكتومة ، وصوتا أجش يتساءل في لهفة عن الخبر . وتبين من صوتيهما أنهما سيدة ورجل . ثم نسمع السيدة تردد في خوف ووجل :

— لقد حاول أحدهم فتح الباب !

وهو يهدىء من خاطرها ، زاعما أن ذلك الجرىء ، لم يكن سوى أحد الخدم . وهي تجيبه في قلق ظاهر ، انه لم يعتد أحد أن يطرق باب منزلها في مثل هـذه الساعة ، والوقت أبان الاصيل ، وهي تخشى أن يكون هذا الطارق المفاجىء هو والتر

وهي تشير إلى حذائه ، فيتلمسه في حذر ، وتلقي بنفسها داخل معطف يكسوها الى قدميها العاريتين وهي ترجل شعرها المشعث

وينتهي من حذائه ، ويجلس واجما ، كأن على رأسه الطير ويقول في لهجة من يريد أن يطمئن نفسه :

— انه لمن المستحيل أن يـكون الطارق والتر . فهو لايفارق معمله قبل الساعة الخامسة

— اذن من يكون ذلك الطارق ؟

هذا ما كانت تتساءل عنه :

وقد صار حديثهما الآن همسا . والدقائق تمر كأنها الساعات . والموقف يزداد حروجة ، حتى استطاعت أن تلقي برأسها من النافذة ، المسدلة الستائر . فلم تر رقيبا ولا عابرا

وأنت لابد أن تدرك أن تلك السيدة كانت زوجة الدكتور والتر Waltr العالم البكتريولوجي الباحث وراء جراثيم الامراض . وان ذلك الرجل الذي كان معها لم يكن سوى تونسند Tonsend المساعد لحاكم المدينة العام . وأنت لابد قد لاحظت من الحديث الماضي ، أن ثمة علاقة تقوم بينهما علاقة لايسوغها شرع ، ولا يسمح بها قانون وأنت لابد أن تطالب بمعرفة هذه الصلة المحرمة : وكيف نشأت ؟

واذا كان كذلك ، فلابد أنك راجع الى ما قبيل هذا الحادث بنيف وسنة . حينما كان والتر يقضي أجازته السنوية في لندن : حيث تعرف في احدي الحفلات الليلية بعائلة برنارد جير ستن الذي كان عضوا في مجلس النواب . والذي كان له ابنتان . أحدهما تدعى كتي وهي الكبرى والاخرى دوريس

وحدث حينئذ أن تقدم لخطبة الصغرى أحد مهندسي الشركات . حينما تقدم والتر بالخطبة أيضا الى الاخت الكبرى . التي لم تر بأسا من هذا الزواج ، مخافة أن تسبقها أختها ، وأنت تعلم غيرة النساء ، ولا بد أنك قد لاحظت أن زواجا كهذا قائم على مصلحة شخصية بالنسبة للزوجة ولو أنه من العدل أن نذكر أن والتر كان في اختياره الزوجة ، يتبع عاطفة قلبه . وما كانت زوجته في الحقيقة لتأبه له كثيرا أو تبادله حبا بحب . واخلاصا باخلاص

وانتهت أجازته . وعاد والتر وزوجه إلى مقر عمله بالصين . بعد أن قضى بضعة أيام بايطاليا وهنا في مدينة تشنج بن تفرغ إلى عمله المنهك . في معمله طيلة النهار . وحقبة من الليل . وما كانت الزوجة الفتية التي اعتادت سهرات لندن . ولياليها المرحة لتستطيع أن تمضي وقتها كله . غلقه بين جدران منزل قاتم ، يقوم على خدمتها نفر من الصينيين ، لايرتاح المرء الى رؤيتهم ، فأخذت ترتاد المجتمعات الافرنجية ، والاندية المختلفة . حيث يؤمها طبقات الموظفين الاوربيين . وهنا رأت تونسند أو بالأحرى تعرف هو بها ، وتآلفت أهواؤها وامتزجت نفساهما فهي فتاة لندن الحديثة العهد بها ، لاتتجاوز الخامسة والعشرين ربيعا ، الطامحة وراء الملاهي والمسرات ، وهو الرجل الرياضي الذي يجيد لعب البولو . وامتطى صهوة الحياة وهو بحكم وظيفته كمساعد للحاكم العام قبلة الانظار

وهي تقارن بينه وبين زوجها فلا ترى ثمة شبها . وهي تعلم ان تونسند له زوجة وله

أولاد ، ولـكنها لاتقيم لذلك وزنا . واعتادا أن يتقابلا سراً فى احـدى مقاهي الشاى الصينية . ذات السراديب الخفية والمصابيح الخافتة . حيث يقضيان ما شاء الله لهما أن يقضيا من الساعات فى مأمن من عيون الرقباء . وفى خلسة من الزمن . حتى كان ذلك اليوم ... الذى قدم فيه تونسند الى منزل والتر بناء على موعد من كتى وأزل نفسه فيه منزلة الزوج

* * *

وخرج تونسـند فى ذلك اليوم ، وهو يحلم بنجاته ، وكان الليل قد ألقى سدوله وانيرت الفيلا بالمصابيح الصينية الخافتة وجلست كتى على احد المقاعد تعالج القراءة ، وتتساءل فى نفسها عما اذا كان ذلك الطارق كان والتر أو غيره . . ؟ عند ما اقبل هذا مبكراً عن ميعاده وهى تعرفه حق المعرفة فهو كقومه صبور لاتظهر بواطن نفسه على سريرة وجهه ، وهى تتلمس منه كلمة واحدة تستشف منها ماوراء نفسه

ثم تسمعه يناديها فتلبى النداء كالمتهم فى ساحة القضاء وهو يعلم بجريرته يتوقع سماع الحكم عليه ، وإذا به يقول فى صوت خافت :

ـ هل لك ان تجلسى قليلا . . . لدى ما اقوله لك

ولم يكن متجها بناظره اليها ، وكان فى صوته شىء من الجفاف والقسوة واشعل سيكاراً ونظر اليها من طرف عينيه وهو يقول :

ـ هل سمعت عن مدينة ماى تان فو التى لغطت الجرائد بذكرها كثيرا فى الايام الاخيرة

ـ نعم ... أوليست هى المدينة المنكوبة الآن بمرض الكوليرا . . . حيث تموت الناس كل يوم بالآلاف كالناموس

ـ نعم هى بالذات . وقد اقترحت اليوم على الادارة الحكومية أنا كون طبيب البعثة الموجودة بها لمكافحة هذا المرض بدلا من الطبيب المتوفى ... وهى ترى فى ذلك فرصة سانحة لخلاصها منه ، وتلوح عليها علامات السرور وتتلون الحياة أمام ناظرها فتبدو فى قناع براق جميل

فتقول فى لهجة الخائف المشفق على نفسه

ـ أوليس فى وجودك فى موطن الداء ضرر عليك

ـ ربما !

ثم يبتسم . وهى ترى فى ابتسامته ابتسامة شيطان عنيد ! ثم يقول : ـ

ـ ولكنا سنذهب سويا ! ! !

وهي تنتفض من مكانها ، انتفاضة المريض ، وتقول :

ـ أو أنا ذاهبة معك ؟ !

ـ نعم

ـ ولكن ليس هناك مكان لامرأة

ـ بل هناك كثيرات منهن . الاخوة الراهبات فى معبدهن

ـ ولكنك تعلم أني لا أطيق حرارة مدينة تشنج بن التى نحن بها ، فكيف أستطيع مقاومة الداء الوبيل هناك

وهو لايحير جوابا. وهى تسترق اليه البصر فتري فى وجهه ما أخافها وتقول :

ـ وما الذى يحملنى علي الذهاب معك ؟ وباي حق تريدنى أن أورد نفسى موارد التهلكة ؟ إنى لأطالبك أن تعاملنى كما يعامل الزوج زوجته . . .

وهو ينتفض فى مكانه . ويقول فى لهجة ملؤها السخرية

ـ كزوجة . . . نعم كان لابد من ذلك . لو كنت أعلم قصة تونسند

إذن ماذا كان يريده هذا الثائر لنفسه وشرفه وكرامته ، وماذا كان يبغى من اصطحابها معه فى تلك السفرة المالكة ، وهى تصيح فى وجهه :

ـ لتعلم كل شيء ! لايهمنى اليوم أمراً مادمت قد عرفت الحقيقة . إنى أحبه وأكرهك أيها الانسان الممسوخ ، المحب لذاته ، الذى يعيش لجراثيمه ولعمله فحسب . لم تخلق لتكون زوجا بل أحرى بك أن تسجن نفسك بين أسوار المعامل ، بين الاوانى المختلفة الانواع ، تأنس بجراثيم الامراض المختلفة . وأنت تنظر اليها فى فرح الطفل الساذج من خلال مجهرك . أيها الرجل لماذا تتزوج ؟ ولماذا تشقى بك نفسا ؟ اننى أحبه من كل قلبى . . . وليس من ذنب على المرأة إذا هى لم تحب زوجها ، مادام غير منصرف اليها ! ! سأتزوج منه . نعم وفى أقرب وقت . . .

ـ تتزوجين منه ! لامانع لدى . إذا أعلن زوجته بذلك وقبلت أن تنفصل عنه ، على أن يكون زواجك منه ، بعد مضى أسبوعين على الاكثر من تاريخ صدور المراسيم الخاصة بذلك ويفترقان

وفى اليوم التالى تسرع لمقابلة تونسند وتجابهه بان والتر قد اكتشف مابينهما ، وعما

اشترطه بشأن طلاقه من زوجته، وزواجهـا منها فى ظرف أسبوعين من صدور المراسيم الخاصة بذلك. وهو يصعق لدى سماعه بذلك. وباكتشاف والتر لأمرها، كأنه ما كان يعتقد بامكان حصول ذلك. وهى تطالبه بوفاء حبه لها، وهو يطرق قليلا. ثم يقول :-

— إنك لتعلمين حبى لك : ولكننا لانعيش لنفسينا فقط، فى هذا العالم. بل هناك اعتبارات شتى ! انه لاسعد شىء لدى أن أكون زوجا لك. ولكن ماذنب زوجتى فى ذلك كله ؟ ثم هناك أولادى منها. كيف يكون حالهم ؟

— ولكنك كنت تدعى قبل أنه لاقيمة لزوجتك فى نظرك

— وهل قلت يوما أننى أحبهـا ؟ ولكننا كنا دائما أصدقاء. ولا أخفى عليك أنى اعتمد عليها فى كل شىء ! أنا لا أبغى أن أجرح عاطفتك. ولا أن أحطم كبريائك. ولكننى مضطر أن أقول الحق. ليس ثمة ماعنعنى يوما ما ـ وهو قريب ـ أن أكون حاكما عاما للمدينة. وفى طلاقى من زوجتى وانفصالى عنها، لأتزوج منك، ما يطلق السنة العامة طويلا، ويلطخ سمعتى أمام الناس ويجعل للجرائد مادة خصبة تكتب فيها طويلا !

— ولكنك كنت تقول أننى كنت لك كل شىء !! وأن وجودى معك هو كل شىء فى الحياة !

— ولكن يجب على المرأة الا تأخذ كلمات الرجل بمعناها الحرفى. وخاصة عندما يكون محبا لها

وهى تذكر له ناحبة باكية، أن زوجها عازم على السفر الى مدينة ماى تانـ فو حيث تنتشر السكوليرا. وهو يجيب فى هدوء

— ليس ثمة خطر كبير اذا راعى المرء قواعد الصحة

— اذن هذا رأيك ؟

— نعم .. ولنكن دائما أصدقاء !

وتغادره : وقد عبس العالم فى وجههـا عبوسه الاكبر. وارتدى من اقنعته أسودها. وفتح القدر ليلتئذ فمه إلى اخره ليسخر سخرية هائلة فى قهقهة مرعبة

***

نحن الآن بعد ذلك فى مدينة ماى تان فو حيث تنتشر الكوليرا وتفتك بالوطنيين فتكا ذريعا . وحيث يكافحها والتر مكافحة الابطال ليلا ونهارا . وكانا يعيشان تحت سقف واحد مجتمعين معاً أمام الناس ، ومنفصلين تماما فى الداخل . وزارت كتى الأخوة الراهبات . حيث سمعت ثنائهم الجم على المجهود الذى يبذله زوجها . وكم ودت كتى أن تساعدهم قليلا فى بعض عنايتهم باطفال الوطنيين اليتامى . فكانت الام الكبرى تنبهها دائما بقولها

— ان زوجك لفى أشد الحاجة اليك ، بعد عناء عمله اليومى منا

وحدث أن عاد والتر ذات مساء إلى منزله مبكرا عن عادته فالفاها جالسه وقد اعتمدت رأسها بين يديها . وما سمعته قادما حتى فاجأته بسؤالها

— ماذا يحدث لو أن هذا الداء اجترفنا مع من ماتوا

— لم أفكر فى ذلك قط

— ولكنك تقصد من احضارى معك هنا قتلى ولا شك ! . إن ذكرى الماضى تؤلمنى حقا . ولكنك لا تصفح . اننى لاحتقر نفسى كما أحتقر تونسند انى لا أطالبك بمشاطرتى حبا ضائعا ، ولكن لنكن أصدقاء ، ونحن هنا فى وسط آلاف الموتى ! يخيم علينا شبح الموت كل يوم بل كل ساعة . لقد سمعت عنك ثناءاً عظيما . من الاخوة الراهبات واني لفخورة بك

— ولكنك لم تكوني كذلك قبل

فتسأله فى لهفة

— أو تحتقرنى ؟

فيقول بعد تردد

— لا وانما احتقر نفسى .

— ولماذا

— لأننى أحببتك يوما ما !

* * *

وذات يوم شعرت كتى وهى فى المعبد بالآم خفيفة فخافت فى أول الامر أن تكون قد أصابتها الكوليرا . ثم تبين بعد . أنها كانت بشائر الحمل ولم يكن والتر موجودا حينئذ فى مستشفاه

فعادت الى منزلها . ولم يذكر الاخوة الراهبات لوالتر عند عودته بذلك بل أخبروه أن زوجه عادت لمنزلها لمرض ألم بها

فيعود مبكرا . ويستأذن فى الدخول . ويسألها عن الخبر

فتسأله : ـ

— أو لم يخبرك الاخوة بذلك!

ـ لا

ـ فتقول بعد تردد .

ـ سيكون لنا طفل

فيطرق قليلا .. ويقول لنا . . . سيكون لنا طفل .. « ولـكن من والد هذا الطفل ؟ . . »

وأطرقت . ولو أنها أجابت

ـ نعم . هذا ولدك !

ربما عادت الحياة الزوجية الى مجراها . ولـكنها لا تريد أن تنكر عليه وهى تقول فى غير تردد !

ـ لا أدرى

ـ احقا لاتدرين ! ! ياله من جواب مقنع

وكان ذلك شر أنواع اقنعة الحياة ! تجابه بها زوجان!

تمر الايام سراعا ووالتر يمضى فى عمله . ولـكن ذات يوم . وكانت الساعة الحادية عشر قبيل منتصف الليل ، وإذا ضابط المدينة ومعه بعض الجنـد يطرق الباب ، فتقابلهم كتى وتسألهم عن الخبر فيجيبون أن والتر قد أخذه الداء ! ويلحون عليها بسرعة الذهاب لرؤيته قبل أن تحين ساعته

ويسرعون اليه فاذا به ملقى على مخدعه وبجانبه مساعده الصينى وعيناه مخضلتان بالدموع ـ بالوفاء الشوق ! ـ يشهد للمرة الاخيرة صريع الداء الذى حاول مكافحته ، وهى تطلب أن تخلو بزوجها قليلا ! حتى إذا تم لها ذلك أخذت تستعطفه أن يصفح عنها . . . وهو لا يجيب ، بينما كانت جفونه ترتعش حتى أسلم نفسه الاخير

وبوفاته عادت كتى إلى لندن بعـد أن مرت فى طريقها بمدينة تشنج بن مدينة الذكريات والتقت بتونسند للمرة الاخيرة . أقول عادت الى لندن لتجد أن والدتها قد توفيت وأنه لم يبق لها سوى والدها الملتزم السفر الى امريـكا ليشغل وظيفة قضائية

وبذلك لم يبق سواها !

وبعد ! أليس المؤلف صادقا حينما صدر كتابه بقوله: ما القناع الملون الا مايسميه الاحياء « الدنيا »